الباب الأول

العمران والتخطيط

الفصل الأول

العمران

أسس الفاطميون مدينة القاهرة فى سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م)؛ لتكون عاصمة لهم، وانتقل إليها الخليفة المعز لدين الله من إفريقية سنة(٣٦٢هـ/ ٩٧٣م)، وظلت لأكثر من قرنين عاصمة الخلافة الفاطمية.

والقاهرة هى المدينة الرابعة فى سلسلة المدن الإسلامية التى أسست فى مصر، وهى المدينة الوحيدة بين هذه المدن التى بنى لها سور يحيط بها [(١)]، وقد أعطى بناء هذا السور انطباعا بأن المدينة فى بداية إنشائها قد أخذت طابعا عسكريا، فلم يقصد جوهر من إنشائها أن تكون دار خلافة أو منزل ملك بل اختطها لتكون مكانا للخليفة وحرمه وجنده وخواصه، ومعقل قتال يتحصن به وتكون الفسطاط مدينة العامة[(٢)].

وعلى ذلك أنشئت مدينة القاهرة، واستمرت حينا بعد قيامها مدينة ملكية عسكرية تشتمل على قصور الخلفاء، ومساكن الأمراء، ودواوين الحكومة، وخزائن المال والسلاح، وأخطاط الجند المغاربة الوافدين إلى المدينة مع القائد الفاطمى جوهر الصقلى[(٣)].

ومن هذه الأخطاط التى تشتمل عليها مدينة القاهرة، والتى وقع عليها اختيارى لدراستها ثلاثة هى: الجودرية- المسطاح- المحمودية التى تكون منطقة متصلة تقع فى الجهة الجنوبية الغربية من القاهرة الفاطمية داخل أسوارها، وبالجهة الشمالية الغربية من قصبة القاهرة، يحدها من الجنوب جامع السلطان المؤيد شيخ، ومن الشمال جزء من شارع الأزهر ينتهى عند مدرسة السلطان الغورى، ومن الشرق جزء من شارع المعز الذى يطلق عليه الآن "الغورية". ومن الغرب شارع درب سعادة.

وهذه الأحياء – موضوع الدراسة – ارتبطت مسميات بعضها بشخصيات هامة فى الدولة الفاطمية، مما جعل المؤرخين يقبلون على تناول هذه الأحياء، والترجمة للشخصيات

---

(1) كانت مدينة الفسطاط والعسكر والقطائع خالية من الأسوار. انظر: عبد الرحمن زكى: الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع، المكتبة الثقافية عدد (١٥٨)، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م، ص ٨-١٤، وحسن الباشا: قبل أن تكون القاهرة، بحث بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، أثارها، القاهرة ١٩٧٠م، ص ١٥-٢٤. وعن أسوار القاهرة، انظر:

Margoliuth(D.S) Cairo, Jerusalem,and damascus, London 1907. p.19-20,33

(٢) أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها جـ١ (العصر الفاطمى)، دار المعارف ١٩٦٥م. ص ٦.

(٣) عبد الرحمن زكى: القاهرة، تاريخها وآثارها (٩٦٩-١٨٢٥م) من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦م . ص١٢.

التى ارتبطت بنشأتها.

فقد ذكر القلقشندى عن خط الجودرية: أنه منسوب لطائفة يقال لها: الجودرية من الدولة الفاطمية نسبة إلى جودر خادم عبيد الله المهدى أبى الخلفاء الفاطميين، اختطوها وسكنوها عندما شيد القائد جوهر مدينة القاهرة[١].

وقال المقريزى فى خططه: "هذه الحارة تنسب إلى طائفة يقال لها: الجودرية إحدى طوائف العسكر أيام الحاكم بأمر الله تعالى الفاطمى".

وذكر أيضاً نقلاً عن ابن عبد الظاهر: "الجودرية منسوبة إلى جماعة اختطوها وكانوا أربعمائة، منهم: أبو على منصور الجودرى[٢] الذى كان فى أيام الخليفة العزيز بالله"[٣].

وأجمل أبو المحاسن بن تغرى بردى القول فذكر: "إن الجودرية منسوبة إلى جماعة يعرفون بالجودرية، اختطوها وكانوا أربعمائة رجل من أتباع جودر خادم المهدى"[٤].

ومن خلال هذه النصوص التاريخية الثلاثة التى تواترت فى مصادر العصور الوسطى، يمكن القول: إن التوقيت الزمنى الذى أتت فيه هذه الطائفة لم يحسمه المؤرخون، فبينما يذكر القلقشندى أنها جاءت لمصر بعد تشييد جوهر للقاهرة، نجد المقريزى يخالفه فى ذلك حيث ذكر أنها جاءت إلى هذا الموقع فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، فضلاً عن ذلك، فقد اختلف المؤرخون أيضاً فى نسبتهم؛ إذ ينسبهم القلقشندى إلى جودر خادم المهدى، يؤيده فى ذلك المؤرخ ابن تغرى بردى، بينما المقريزى لم يحدد نسبة هؤلاء؛ إذ اكتفى بذكر نسبتهم لإحدى طوائف الجند أيام الخليفة الحاكم دون تحديد لها.

ومهما يكن من أمر فإن التحقيق الذى قام به كل من محمد كامل حسين، ومحمد عبد الهادى شعيرة والخاص بسيرة الأستاذ جوذر قد كشف عن حقيقة أغفلها هؤلاء المؤرخون.

---

(١) القلقشندى: (أبو العباس أحمد ت ٨٢١هـ): صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ١٤م، القاهرة١٩١٤م، جـ٣ص٣٥٧.

(٢) تولى فى عهد الخليفة العزيز بالله أمر الأحباس والحسبة، وسوق الرقيق والسواحل وغير ذلك. انظر: المقريزى: (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزآن، مؤسسة الحلبى للنشر والتوزيع، جـ٢، ص٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٥.

(٤) ابن تغرى بردى (أبو المحاسن): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب، جـ٤، ص٥١.

فقد كتب هؤلاء جميعهم اسم الشخص الذى تنتمى إليه هذه الفئة بالدال المهملة، وهذا دليل على أنهم كتبوها كما نطقها المصريون، فى حين أن الكتاب الذى تصدى لسيرة الأستاذ جوذر والمنسوبة إليه هذه الفئة، والذى تولى تحقيقه من سبقت الإشارة إليه، قد ذكر اسم جوذر بالدال المعجمة، تلك الشخصية الهامة التى انتسبت إليها طائفة الجوذرية، والذى تولى رياسة هذه الطائفة، حيث يؤكد ذلك أحد مواليه وهو أبو منصور الجوذرى، والذى خلفه فى رياسة الجوذرية وفى أكثر المناصب زمن العزيز بالله الفاطمى[١].

ومن ذلك يمكن القول أن هذه الفئة قد جاءت لمصر زمن الخليفة المعز لدين الله؛ حيث قادهم إليها أبو على منصور الجوذرى بأمر من جوذر نفسه، حيث كان مقرراً له أن يأتى إلى مصر غير أنه مات وهو فى الطريق إليها.

وأجد لزاماً علىَّ فى هذا المقام – وأنا أتحدث عن تاريخ حى الجوذرية – أن أتناول بالترجمة سيرة هذه الشخصية الهامة التى اقترن اسمها بهذا الحى.

ترجمة حياة جوذر :

جوذر أحد العبيد الصقالبة[٢] الذين دخلوا فى ولاء المهدى[٣]، وهؤلاء كانوا فى الغالب الأعم من الخصيان الذين كانوا يجلبون من أواسط أوروبا. وقد خص المهدى ولى عهده القائم[٤] بجوذر هذا، وظل رغم ذلك مخلصاً لمولاه، وظهرت ملكاته فوثق به القائم ثقة تامة؛ حيث استخلفه على قصره بجميع من فيه عندما خرج مع الجيش إلى المغرب[٥].

---

(١) هذا الرجل والذى سبقت الإشارة إلى وظائفه زمن العزيز بالله، هو الذى جمع سيرة أستاذه جوذر فى كتاب خاص تولى تحقيقه: الأستاذ محمد عبد الهادى شعيرة، ومحمد كامل حسين، دار الكتاب ١٩٥٤م.

(٢) الصقلبى: جمعها صقالبة، وتطلق على العبيد الأسبان، ويسمون فى الأسبانية esclavo، وقد سموا بهذا الاسم؛ لأن معظمهم كان ينتسب إلى قبائل السلاف، وكانت تنطق فى أسبانيا سكلاف فعربها العرب إلى " صقلبى "، وأصبح اللفظ يدل على الرقيق الأبيض. انظر: حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م، جـ٢، ص٧٠٨.

(٣) حكم بلاد المغرب أكثر من أربع وعشرين سنة، وتوفى وله من العمر ثلاثاً وستين سنة (٢٩٨-٣٢٢هـ/ ٩١٠-٩٣٣م). انظر: حسن إبراهيم حسن، وطه أحمد شرف: عبيد الله المهدى إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب، النهضة المصرية ١٩٤٧م، ص ١٦٩، ٣١٥-٣٢٠.

(٤) ولى الخلافة بعد عبيد الله المهدى سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م).

(٥) جوذر: تعنى ولد البقرة الوحشية، وتشبه به الحسان لجمال عينيه، وجمعها جواذر. انظر: سعيد الخورى: أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد، لبنان١٨٨٩م، ص١١٠.

ومما يشير إلى مكانة جوذر لدى القائم خليفة المهدى؛ أنه خصه دون غيره بأن يبقى معه أمام حفرة الدفن أثناء مواراة أبيه رمسه، واستأمنه دون الخلق على سر ولى العهد بعده وأخذ عليه الميثاق أن يكتم هذا السر عن سائر الناس، فحفظ جوذر[1] هذا السر سبع سنوات حتى كشفه للقائم نفسه.

ومما يؤكد ثقة القائم فى جوذر أنه بعد توليته الإمامة أسند إليه النظر فى بيت المال وخزائن الثياب، وجعله سفيراً بينه وبين أوليائه وسائر عبيده، ومن ثم يمكن القول: إن خدمة جوذر للقائم قد كانت منذ أن كان ولياً للعهد وعقب توليه مقاليد السلطة.

وازداد تعلق الخليفة القائم بجوذر، يؤيد ذلك أن الخليفة القائم عندما حضرته الوفاة لم يوص بأحد من أهله ولا من عبيده إلا بجوذر، فقال لابنه المنصور وولى عهده: "وديعتى عندك جوذر المسكين فاحفظه ولا يذل بعدى" فقال له المنصور: يا مولاى، وهل جوذر إلا واحد منا[2]، وهذا دليل على المكانة الرفيعة التى وصل إليها جوذر فى عهد القائم.

وحفظ المنصور عهد أبيه، فلما توفى القائم وأراد المنصور إخفاء موته عن الناس خوفاً من ضعف روحهم المعنوية من النهوض لحرب مخلد بن كيداد الخارجى[3] استأمن جوذر وحده دون أفراد أسرة الفاطميين على هذا السر[4].

ولما خرج المنصور لحرب هذا الثائر استخلف جوذر على دار الملك وسائر البلاد، وأعطاه مفاتيح خزائن بيت المال، فكان جوذر بذلك الحاكم العام على البلاد كلها نيابة عن الإمام

---

(١) أبو على منصور الجوذرى: سيرة الأستاذ جوذر، ص٧، ودائرة المعارف الإسلامية، المجلد١٣، ص٣٨.

(٢) أبو على منصور الجوذرى: المرجع نفسه، ص ٨، ٩.

(٣) مخلد بن كيداد الخارجى: ينتسب إلى قبيلة زناتة فى مدينة توزر المغربية. كانت أمه جارية تنتسب لقبيلة هوارة، تزوجها أبوه فى السودان وأتى بها إلى توزر حيث رزقا بمولودهما، مخلد ابن كيداد، فنشأ فى هذه المدينة وقويت شوكته فى عهد القائم، حيث أوقع الهزيمة بكنانة، واستولى على الأربس "بوابة المهدية" مما جعل أهلها يفرون إلى طرابلس وصقلية ومصر، وقويت شوكته وأصبح فى مركز يهدد مدينة المهدية نفسها مما جعل القائم يحاربه، لكنه مات قبل دحره فهزمه ابنه المنصور وقتله سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م). انظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، النهضة المصرية ١٩٥٨م، ط٢، ص ٩١، ٩٢.

(٤) أبو على منصور الجوذرى: المرجع نفسه، ص ٨، ٩.

فكانت مكاتبات المنصور ترد إلى المهدية باسم جوذر[1]، وهذا يؤكد مدى الثقة الكبيرة التى أولاها الخلفاء الفاطميون لهذه الشخصية الهامة فى ذلك العصر.

وأراد المنصور أن يكافئ جوذر بعد انتصاره على مخلد بن كيداد الخارجى- على خدماته وولائه فلم يجد خيرا من عتقه ومن تشريفه بلقب: "مولى أمير المؤمنين"[2]، وهو لقب لم يلقب به فى هذا الوقت إلا "جوذر".

وظل "جوذر" منفردا بهذا اللقب إلى أن شاركه فيه جوهر الصقلى بعد أن فتح مصر فى عهد المعز لدين الله، وقد أمر المعز بالمؤاخاة بينهما، وبالرغم من ذلك فقد أمر المعز أيضا أن يقدم جوذر نفسه إذا كتب إلى جوهر، فاحتفظ جوذر بأمر المنصور بأن يجعل مكاتبته لمن كبر قدره وصغر من جميع الناس: "من جوذر مولى أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان" دون أن يكنى أحدا ولا يقدم على اسمه اسما إلا اسم ولى العهد، وصارت مكاتبته للناس على هذا النحو طوال حياته، مما يدل على أن"جوذر" قد بلغ أرقى مرتبة فى الدولة، وهى المرتبة الثالثة بعد الإمام وولى العهد[3].

ولم يكتف المنصور بذلك بل أمر بأن يكتب اسمه ضمن شريط الطراز[4] على الملابس والبسط تشريفا له وتعظيما لقدره، كما أمر بأن يخرج "جوذر" فى موكب رسمى طبقا للمراسم التى ترعاها الإمامة فى ذلك، كما أمره بأن يجلس معه على المائدة، وهو تشريف لا يناله إلا الأفراد القلائل[5].

---

(١) المرجع السابق، ص ٩.

(٢) مولى أمير المؤمنين: من أوائل الألقاب المضافة إلى أمير المؤمنين ظهورا، وفى الوقت نفسه أعمها وأكثرها شيوعا، والمولى فى اللغة: العتيق، ويمكن تفسير هذا اللقب فى حالة استعماله كلقب فخرى بأن الصلة بين صاحب اللقب وبين أمير المؤمنين تشبه الصلة بين العتيق والمعتق من حيث الاعتراف بجميل العتق. انظر: حسن الباشا: الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية ١٩٥٨م، ص ٢٠٨.

(٣) أبو على منصور الجوذرى: المرجع السابق٤، ص٩، ودائرة المعارف الإسلامية، مجلد١٣، ص٣٨.

(٤) الطراز: لفظة معربة عن كلمة(ترازيدن) الفارسية، ومعناها يطرز أو يوشى، وقد استخدمت لتدل على العبارة الرسمية التى كانت تنقش على النسيج أو العملة أو غير ذلك من الأشياء ذات الطابع الرسمى. انظر حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية ١٩٩٠م، ص٣٤٣.

(٥) أبو على منصور الجوذرى: المرجع السابق، ص٩.

وإلى جانب كل هذا التشريف، فقد كان المنصور يجامله أيضا، فعندما ضرب السكة المنصورية لأول مرة، بعث على"جوذر" ألف دينار هدية، وكان جوذر يرد مجاملات الخليفة بمثلها أو بأكثر منها، فقد كان يبعث إليه هدايا من الخشب والمال، إذ كانت له ثروة عظيمة وسفن يستورد بها الأخشاب من صقلية[1].

وقد بلغت هيبته حدا جعله قادرا على أن يقف من أهل القصور عامة وحرم الأئمة خاصة موقف المؤدب، فقد فرض إليه المنصور ذلك حين تجنى عليه اهل القصر وعابوه؛ لأنه كان يراقب سلوكهم مع العامة ويزجرهم إذا حادوا عما يصون مركزهم[2].

ولما انتقل المنصور من المهدية إلى المنصورية[3] ظل" جوذر" مع الدواوين بالمهدية بحكم اختصاصاته، وبعد عن معية المنصور، حيث كان له الإشراف على المهدية وما حولها من الإعمال.

وظلت مكانة" جوذر" لدى الخلفاء الذين تولوا بعد المنصور بنفس قدرها ففى عهد المعز كان جوذر يطالع المعز بأخبار دولته، ويستأمره فيما يحتاج إلى الاستثمار، إلى أن أراد المعز أن يتحول إلى القاهرة بعد فتح مصر، فخطر لكثير من الناس أن المعز سيولى" جوذر" أمر المغرب، وبلغ ذلك جوذر، فطلب من المعز أن يبقى قريبا منه وأن ينتقل معه إلى مصر، حرصا منه على القرب من الأئمة، لكن المنية قد عاجلته وهو فى طريقه إليها، حيث توفى بالقرب من برقة[4].

لكن كان أتباعه والمنتمين إليه الحاملين لاسمه قد سبقوه إليها قبل وصول المعز إليها فكان على رأسهم القائد الذى ناب عن" جوذر" فى قيادة هذه الطائفة وهو" ابو على منصور الجوذرى"، من خلال أتباعه إلى هذا الخط أو الحارة التى اتخذوها مقرا لهم، غير أن الاسم الذى تداولته المصادر- كما أشرت من قبل- كان بالدال المهملة، ومن ثم وبعد ما أوردته من ترجمة لهذه الشخصية التى ارتبطت الحارة بها، اصبح من المهم تعديل الاسم ليصبح بالدال المعجمة

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ١٣، ص٣٨.

(٢) أبو على منصور الجوذرى: المرجع السابق، ص١٠.

(٣) المنصورية: شيدها المنصور سنة(٣٢٧هـ/٩٣٨م)، على مقربة من القيروان، واتخذها حاضرة لدولته، ثم اُتخذت القاهرة حاضرة لدولته بعد ذلك، وقد حكم المنصور سبع سنين وستة أيام، ومات سنة (٣٤١هـ / ٩٥٢م)، ودفن بالمهدية. انظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ص ٩٢,٥)

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ١٣، ص٣٨.

تخليدا لذكرى هذه الشخصية الفاطمية العظيمة "جوذر".

تطور الجوذرية العمرانى:

بدأ عمران هذه الحارة[1] فى العصر الفاطمى باستيطان أربعمائة شخص لها ، ولنا أن نتخيل مدى ما يحققه استيطان هذا العدد - سواء من حيث مساحات الأرض التى استغلها كل هؤلاء، أ، من حيث المنشآت التى عملوا على إيجادها داخل الحارة- من عمران. وتشير المصادر التاريخية على تكامل عمران هذه الحارة فى عصر الخليفة الحاكم بأمر الله(٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م)، وفى ذلك يذكر المقريزى أنها كانت تشتمل على عدة أبواب تفضى على داخلها، والذى كان يسكنه اليهود آنذاك حيث ظلت هذه الحارة من الحارات التى اختص بها اليهود، منذ مقدمهم إليها عقب الفتح الفاطمى، وظلت هكذا إلى أن تنامى إلى سمع الخليفة الحاكم بأمر الله ما كانوا يرددونه من أقوال- أثناء اجتماعاتهم- تهزأ بالإسلام، فأتى إلى أبوابها وسدها عليهم وأحرقهم داخلها[2]. ومنذ ذلك الحين انتقل موقع سكنى اليهود من الجوذرية إلى حارة أخرى ضمن حارة زويلة خلف مجموعة قلاوون والسلطان برقوق(تعرف إلى الآن بحارة اليهود).

ومن هذا النص يمكن استخلاص بعض الدلالات العمرانية التى كانت عليها الجوذرية فى عهد الخليفة الحاكم، فقد استمرت الجوذرية على عمرانها الذى حققه استيطان هذا العدد الكبير الذى أتى إليها عقب الفتح من حيث العمائر والخطط، والدروب والأزقة، التى كان يتوصل إليها من خلال أبواب تعطى الأمان لسكان هذه الحارة، مما يشير إلى أنها بلغت أوج ازدهارها العمرانى قبل عهد الحاكم، وتذكر النصوص التاريخية بعض العمائر التى ضمتها الجوذرية فى ذلك العصر ومنها كنيسة الجوذرية[3] التى تحتل الآن موقعها الكنيسة المعروفة بالأروام الأرثوذوكس خلف حمام الشرايبى(انظر الخريطة ش٥)، ووجود هذه الكنيسة يفسر الضرورة التى من ورائها أنشئت، وهى خدمة العدد الكبير من أهل الذمة الذين قطنوا الحارة آنذاك. مما يشير إلى العمران الذى كانت عليه الحارة وما كانت تضمه من طوائف وعقب حريقها، وانتقال اليهود منها إلى موضع آخر من القاهرة، ظل العمران بها على ما هو عليه

---

(١) عن معنى هذه الكلمة انظر: الفصل الثانى من هذا الباب.

(٢) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص٥.

(٣) المقريزى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٤٦٤.

رغم بعض ما أصابها من دمار من جراء هذا الحريق، وتنقطع الأخبار العمرانية لهذه الحارة فى الفترات التالية لحكم الخليفة الحاكم، وتظل هكذا حتى انتهاء الحكم الفاطمى وخضوع مصر للحكم الأيوبى، حيث تشير المصادر والوثائق المعاصرة إلى ما يفيد الإضافات العمرانية التى تمت خلال هذا العصر.

فلقد شيد أمير الحاج[١] الأمير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن حصن الدولة ثعلب داخل هذه الحارة على رأس الدرب المعروف بكركامة(سكة الشرايبى حاليا) فى سنة ٦١٢هـ(١٢١٥م) مدرسة خصصها للفقهاء الشافعية[٢].

ولقد ساعد إنشاء هذه المدرسة على تطور العمران فى هذا الجزء من الحارة بما ضمته من موظفين وقع عليهم تدريس المذهب الشافعى، وتعليم القرآن الكريم، وغير ذلك، وهؤلاء قد سكن بعضهم بالمدرسة، والبعض الآخر داخل الحارة، وكذلك فإن تشييد المدرسة قد تم بحيث توجد أمامها رحبة تربط بين المدرسة وبين دروب الجوذرية وأزقتها، وكذلك الشارع الأعظم، وقد عرفت هذه الرحبة بعدة مسميات أقدم ما وصلنا منها رحبة بن علكان، الصيرفى، الأزدمرى، ثم عرفت بعد ذلك بدرب كركامة.

بجانب ذلك شيد السلطان العادل الأيوبى فى سنة(٦١٣هـ/ ١٢١٦م) بهذه الحارة طاحونة كاملة العدة والالة ضمت "مسطاحا وحجرا دايرا "[٣]، كما كانت تشتمل على دار للدواب ومرافق وحقوق[٤].

وإنشاء هذه الطاحونة يفسر الحاجة التى دعت إلى وجودها، وهى خدمة جموع السكان بها عن طريق طحن غلالهم مما يشير إلى عمران الحارة.

---

(١) هذا الاسم مؤلف من كلمتين: أمير بمعنى: رئيس أو قائد، وحاج وهو: قاصد مكة للنسك، وهى من الوظائف التى عرفت منذ عهد النبى" ﷺ " إذ كان ينيب عنه عند الضرورة أحد الصحابة فى رئاسة المسلمين الذاهبين إلى الحج، وسار الولاة والخلفاء والسلاطين على هذه السنة، فكانوا يعينون نوابا عنهم يرأسون الحجيج الخارج من أقطارهم إلى بيت الله الحرام. انظر: حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، جـ١، ص ٢٠٢.

(٢) المقريزى: المصدر السابق، ص٣٧٣.

(٣) وثيقة وقف رقم ٢/ دار الوثائق القومية، مؤرخة ٢٩ رمضان(٦١٣هـ/١٢١٦م) سطر(٩٨-١٠١)، ومعجم المصطلحات: مصطلح رقم(٢٥)، والحجر الداير: هو الحجر المستدير أو الدائرى.

(٤) انظر: معجم المصطلحات: مصطلح رقم(٢٣).

بجانب هذه الطاحونة شيد العادل دارا بجوارها اشتملت على باب مربع[1] يؤدى إلى سلم يؤدى إلى طبقتين للسكنى ومنافع ومرافق وحقوق، وهذا النموذج للدور الإسلامية قد خصص للإيجار لأرباب الحرف والصناعات داخل الحارة، مما يشير إلى ما كانت تضمه الحارة من نشاط حضارى وعمرانى، بالإضافة إلى هذه المنشآت التى لاشك أن الحارة قد ضمت منها العديد، وصلنا من منشآت هذا العصر ذات الصفة الاجتماعية والعمرانية التى تخدم جموع غير قليلة من السكان. حمَّام ابن علكان [2] وهى من الحمامات التى شيدها الأمير شجاع الدين بن علكان داخل الرحبة التى عرفت باسمه، وهى رحبة بن علكان (درب كركامة بعد ذلك).

وقد ظلت هذه الحمام إلى أن انتقلت إلى الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الصالحى النجمى أحد أمراء الصالح أيوب واستمرت لأكثر من مائة عام إلى أن خربت بعد سنة ألاربعين وسبعمائة، فهدمها الأمير أزدمر الكاشف وعمَّر مكانها اسطبلا بعد سنة خمسين وسبعمائة[3].

وقد كان مكان هذه الحمام، الحمام المعروفة الآن بالشرايبى، وإنشاؤها فى هذا الموضع قد كان الباعث عليه خدمة أهل الحارة والمواقع الأخرى المجاورة، مما يشير إلى الازدهار العمرانى الذى كانت عليه الحارة.

وقد استمرت عمائر الجوذرية التى ورثتها من العصر الفاطمى والأيوبى باقية خلال العصر المملوكى، مع اندراس بعضها وإقامة منشآت جديدة فوقها خلال العصرين الأيوبى والمملوكى، وقد درست معالم الحمام المعرفة بابن علكان المشيدة فى العصر الأيوبى، وأقيم عوضا عنها اصطبل خاص بالأمير ازدمر الكاشف بعد سنة(٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، وهذا الاصطبل اندرس أيضا وشيد فوقه منشآت أخرى بعد هذا التاريخ، كما أن المدرسة الشريفية قد ظلت باقية على حالتها حتى القرن(١٠هـ/ ١٦م)، إلى أن تم تجديدها على النسق القديم فى فترات لاحقة[4]، وعرفت بأسماء جديدة.

---

(١) انظر: معجم المصطلحات: مصطلح رقم (٤).

(٢) هو صهر الأمير فخر الدين عثمان بن قزل استادار الملك الكامل الأيوبى، وقد استشهد الأمير ابن علكان على أيدى الصليبيين بمدينة غزة سنة(٦٣٧هـ/١٢٣٩م). المقريزى: المصدر السابق جـ٢، ص٥١.

(٣) المقريزى: المصدر نفسه، ص٨١، ٨٣.

(٤) عن هذه المنشأة، انظر: الفصل الرابع من الباب الثانى.

أما منشآت السلطان العادل، فقد درست معالمها وأعيد استخدام المساحة المخصصة لها فى العصور التالية، مما يشير إلى تعرض الحالة العمرانية للحارة للتطور تارة والثبات تارة والتقهقر تارة ثالثة، ورغم ذلك فإن العصر الأيوبى قد شهد إضافة عمرانية جديدة للعمائر التى ضمتها الحارة خلال العصر الفاطمى، ما وصلنا منها هى تلك العمائر التى أشرت إليها سلفاً، والتى توضح دون شك مرحلة العمران الذى كانت عليه الحارة.

وفى العصر المملوكى شيد السلطان قلاوون بجوار قيسارية "جهاركس الخليلى" ربعا سكنيا عرف بربع العلمى[1] فوق عدد من الحوانيت اختص بها عدد من الحرفيين، كان لهم السكنى بالربع والعمل فى حرفهم داخل الحوانيت أسفله، مما يشير إلى نوع من العمائر وجد داخل الحارة فى ذلك العصر يمثل إضافة جديدة لنوع العمائر التى وجدت داخلها من العصرين السابقين، والذى ستوجد منه أمثلة أخرى فى العصر التالى، خدمة من الواقفين لأرباب الحرف والصناعات وفقراء الحارة، فهو يتكون من غرف منفردة تختص واحدة منها أو اثنتان بأسرة أو فرد، وهذه الوحدات تكون متجاورة ويؤدى إليها سلم واحد، ويخص كل مجموعة من الغرف بعض المرافق والمنافع، وأسفلها فى العادة تكون حوانيت أو وكالة أو فندق أو خان أو قيسارية[2] (ش٤٥) أى أن منشأة واحدة كانت تضم بين جدرانها عدداً غير قليل من السكان. خصصت لهم خارج الربع الكثير من المنشآت التى تخدمهم وتفى باحتياجاتهم من الحمام والسبيل. كذلك فقد شيد الأمير بيبرس الجاشنكير[3] فى سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) قبل سلطنته قيسارية محل دار الأنماط[4] على رأس حارة الجوذرية (أنظرالخريطة ش١٦)، وعمّر الربع فوقها

---

(١) وثيقة ١٥/ دار الوثائق القومية، مؤرخة ٢١ صفر(٦٨٥هـ/١٢٨٦م).

(٢) محمد محمد أمين، وليلى على إبراهيم: المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، الجامعة الأمريكية، القاهرة، سنة ١٩٩٠، ص٥٢.

(٣) اسم وظيفة مركب من لفظين فارسيين: أحدهما: جاشنا أو جاشنى ومعناه الذوق، والثانى: كير ومعناه المتعاطى لذلك أى أن المعنى لها: "الذى يذوق" والجاشنكير: موظف مهمته أن يذوق الطعام والشراب قبل أن يتناوله السلطان خشية أن يكون مسموماً، وهذه هى وظيفة الأمير بيبرس قبل أن يلى السلطنة. أنظر: حسن الباشا: المرجع السابق، ص٣٤٤، وعلى إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، اللنهضة المصرية، ط٣، ١٩٦٧م، ص٢٢٣.

(٤) الأنماط: هى الستور التى توضع على الهوادج فوق الجمال أثناء السفر، وكذلك أغطية السروج. انظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جـ٤، ص٣٨ حاشية (٢).

لسكنى عدد كبير من السكان[1]. وقد حوت هذه القيسارية عدداً كبيراً من الحوانيت بلغت من الداخل مائة وخمسة حوانيت وثمانية من الخارج، خصصت جميعاً لتجار الأقمشة والأخفاف. مما يشير إلى أن عدد التجار قد كان مائة وثلاثة عشر تاجراً سكن بعضهم الربع والبعض الآخر كان - على ما يبدو- ممن كانت حوانيتهم فى أماكن أخرى من الحارة، ومعنى هذا أن العدد من التجار قد كان لكل منهم أسرته المقيمة داخل الربع مما يشير إلى تضاعف هذا العدد، وبالتالى ازدهار الناحية التجارية، وبالتبعية ازدهار الناحية العمرانية، وقد احتلت هذه القيسارية مساحة عدد من المنشآت كانت مشيدة قبل ذلك - ربما من نفس العصر وربما من العصر السابق عليه- هدمها الأمير "بيبرس"، وشيد مكانها هذه المنشأة التى كانت مقراً لإقامة العديد من الأسر، أى أن تشييدها لم يكن استبدالاً لعدة عمائر بعمارة واحدة، وإنما كان إضافة معمارية كبيرة خدمت عدداً كبيراً من الأسر.

كما شيد السلطان برقوق داخل هذه الحارة فى سنة (٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م) داراً كانت بدرب مشترك (المعروف الآن بشارع الحطاب، وبيبرس) على يسرة السالك منه إلى "الملحيين" داخل زقاق عرف "ببشير البزاز" (انظر الخريطة شكل ٧)، وقد كانت هذه الدار تشتمل على قاعات وإيوانات ومرافق وحقوق (شكل٥٤) وقد سكنها "مشترك السلاح" أحد أمراء السلطان برقوق، وظل بها إلى أن مات واندثرت هذه الدار، ولم يتبق منها سوى ما ورد من معلومات عنها ضمن وثيقة وقف السلطان برقوق[2] وهى توضع نمطاً من أنماط العمائر التى سكنها الأمراء وما كانت تحويه من عناصر معمارية تمثل إضافة أخرى لتطور العمران داخل الحارة.

وبجانب هذه العمائر شيد القاضى عبد الباسط سبيله فى الجهة الجنوبية من "الجوذرية" جهة العقادين[3]، وشيد فوقه كُتّاباً وذلك فى سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، لتزويد المارة وأهل الحارة وما جاورها بالمياه اللازمة، فضلاً عن تعليم أيتام المسلمين القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم بجانب تزويدهم بالكساوى والطعام وغير ذلك، وهو فى ذلك قد أدى دوره الحضارى والعمرانى فى تلك الفترة وما تلاها، فمن الناحية العمرانية، اتخذ السبيل فى ذلك العصر شكلاً مميزاً بحيث تتخذ واجهته الشكل المربع أو المستطيل وتفتح شبابيك تسبيله على الطريق

---

(١) انظر: الفصل الثالث من الرابع.

(٢) وثيقة ٥١/دار الوثائق القومية، مؤرخه ٤شعبان(٧٩٦هـ/١٣٩٣م).

(٣) حسن قاسم: المزارات الإسلامية، جـ٤، ص٧١.

فى واجهة واحدة أو اثنتين أو ثلاثة، ويعمل داخله عدد من الموظفين المنوط بهم خدمة المارة وريهم من العطش وعابرى السبيل وأهل الحارة، وكذلك تنظيف السبيل وتزويده بالمياه الصالحة للشرب إلى غير ذلك من الأمور مما يشير إلى أن مشيده قد كان موفقاً فى تشييده أيما توفيق، خاصة وأن هذه الحارة قد ضمت الكثير من المنشآت ذات الصفة التجارية والأسواق وغيرها من المنشآت الدينية والمدنية والتى يقوم السبيل فى موقعه هذا بدور كبير فى إمدادها باحتياجاتها من المياه، فضلاً عن أن تشييده يضيف إلى المنشآت التى تضمها الحارة منشأة أخرى، مما يشير إلى تنامى العمران بها، وقد ظل هذا السبيل باقياً حتى جدده السيد محمد التونسى فى سنة (١١٢٥هـ/ ١٧١٣)[١]. ولازالت آثار هذا السبيل والكتاب باقية إلى اليوم.

وفى نهاية العصر المملوكى الجركسى شيد الغورى مجموعته المعمارية المتمثلة فى مدرسته فوق سوق الشرابشيين فى الحد الشرقى للجوذرية، وكذلك شيد فى مواجهتها قصراً لابنه الناصرى محمد، وهو نفسه الخان الذى عرف بعد ذلك بالحمزاوى فى العصر العثمانى.

وبذلك يزداد رصيد الحارة من العمائر بواسطة المدرسة والقصر اللذان شيدهما الغورى، رغم أن بعضها شيد على أنقاض بعض العمائر الأخرى إلا أن إثباتها يفيد فى تبيان حالة العمران فى ذلك العصر.

كما شيد الأمير بيبرس الخياط عدداً من العمائر داخل الحارة منها المدرسة والقبة الضريحية وذلك فى سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م)[٢] وخصصها لدراسة التصوف، وعين بها عدداً من الموظفين سكن بعضهم داخل الحارة، وشيد بالقرب منها قصراً لحريمه، وقصراً آخر له ولمماليكه[٣]، وبجوار القصر الخاص به وفى مواجهة قصر حريمه شيد حماماً[٤] لخدمة هؤلاء جميعاً فضلاً عن أهل الحارة، كما ألحق بقصره سبيلاً ومغسلاً للخيول، وكل هذه المنشآت احتلت مواقع كانت عامرة فى زمانها هدمها الأمير بيبرس بعد شراءها، وشيد فوقها مجموعاته المعمارية التى تضيف إلى عمران الحارة فى ذلك العصر عدداً من العمائر ترفع رصيدها مما يوضح مراحل التطور العمرانى لها. (انظر شكل٢).

---

(١) على مبارك: الخطط التوفيقية،جـ٦ ص١٧٦.

(٢) وثيقة ٣١٣/دار الوثائق القومية.

(٣) عنه أنظر: الفصل الثالث من الباب الثالث.

(٤) عنه أنظر: الفصل الثانى من الباب الثالث.

ومما سبق يتبين أن الحارة فى العصر المملوكى قد شهدت تقدماً ملحوظاً فى النواحى العمرانية؛ إذ أضيف إلى عمائرها عدداً من العمائر الأخرى تنوعت بين الربع والمنزل والقصر، والحمام والسبيل والمدرسة، مما زاد من ازدهارها العمرانى.

وفى العصر العثمانى استمرت عمائر الحارة التى ورثتها من العصور السابقة التى تبقت والمجددة والمشيدة على أنقاض عمائر أخرى فى عصر مختلف، هذه العمائر أضيف إليها فى ذلك العصر عدداً آخر من العمائر؛ منها الوكالة والسبيل والربع والحمام والمنزل. ومن ذلك ما شيده الأمير مصطفى جوريجى القبرصلى سنة (١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م) بالفحامين، عبارة عن وكالتين متداخلتين عرفت إحداهما بالكبرى والأخرى بالصغرى، ضمت الكبرى عدداً أكبر من الحواصل والطباق علوها عن الوكالة الأخرى فضلاً عن اشتمال الوكالة الصغرى من خارجها على عدد من الحوانيت لبيع المواد العطرية والأقمشة، بلغت عدتها ثلاثين حانوتاً، بالإضافة إلى الحواصل الداخلية (انظر شكل٤٦).

وقد شيد بزاوية الوكالة الصغرى القبلية سبيلاً يعلوه كُتَّاباً خصص كل منهما لخدمة أهل الحارة، فالسبيل يمدها بالمياه اللازمة، والكُتَّاب يتعلم فيه أيتام المسلمين القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم.

كما شيد بجوار الوكالة الكبرى من الجهة الشمالية ربعاً، وآخر يواجه الوكالة الصغرى فى الجهة الشمالية. ضم الأول ثمانية عشر بيتاً والآخر سبعة عشر بيتاً[١]. خصصت جميعاً لسكنى أرباب الحرف والتجارة وغيرهم من قاطنى الحارة.

وهذه المنشآت شيدها الأمير مصطفى جوريجى فوق مساحة من الأرض كانت جارية فى وقف دولت باى المحمودى[٢] كان مشيداً عليها وكالة عرفت بالكتان وبعض الحوانيت، وقد استأجرها الأمير مصطفى لمدة تسعون سنة كاملة متوالية من تاريخ سنة (١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م) تجدد بعد ذلك من ريع الموقف.

---

(١) وثيقة وقف ٢٥٣٢/الأوقاف. مؤرخه ١٨ جمادى الآخرة سنة (١٠٩٦هـ/١٦٨٤م) سطر ٤-١٢.

(٢) هو أحد مماليك المؤيد شيخ ولد سنة (٧٩٧هـ/١٣٩٤م)، وشغل عدة مناصب آخرها أمير دوادار كبير فى عهد اينال توفى وله من العمر نحو ستين سنة. وكان أميراً جليلاً عارفاً بأحوال المملكة سيوساً فى أفعاله. انظر: ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى): بدائع الزهور فى وقائع الدهور الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، جـ٢، ص٣١٣.

وقبل سنة (١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م) شيد محمد داده الشرايبى حماماً ووكالة لصق بعضهما، الأول احتل مكان الاسطبل الذى شيد على مساحة الأرض التى شيدت فوقها حمام "ابن علكان"، وخصها بالرجال والنساء وجاءت فى غاية الحسن والإبداع. وبجوارها شيد الوكالة وعلوها ربعاً سكنياً ضم عشرين بيتاً وتسعة عشر حاصلاً وذلك لبيع المواد العطرية والأقمشة. كذلك آل إلى أحمد المحروقى منزل الحاج أحمد بن عبد السلام[١] بعد وفاته المشيد على قطعة من الأرض كانت تشغلها دكة الحسبة فى العصر المملوكى فى مواجهة الجامع المعروف بابن العربى وذلك بعد سنة (١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م)، كما جدد على أغا فى سنة (١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م) منزل مصطفى أغا الجراكسة الذى اشتراه ثم اشترى منزل على أغا محمد المحروقى الذى هدمه وأعاد بناؤه قبل سنة (١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م).

بالإضافة إلى ما تقدم ضمت الحارة فى جهتها الشرقية -منذ العصر الفاطمى- عدداً من الأسواق كانت كل واحدة منها تضم عدداً من الحوانيت على جانبى كل منها، وهذه الحوانيت التجارية استمرت فى أداء نشاطها منذ ذلك العصر حتى عصرنا الحالى، مع تغيير طفيف فى نشاط بعضها، مما كان له نصيباً كبيراً فى إثراء الناحية العمرانية داخل الحارة. وقد حولت بعض هذه الأسواق إلى منشآت دينية مثلما فعل السلطان الغورى عندما أقام مدرسته على سوق الشرابشين، دون أن يؤثر ذلك على الحركة العمرانية، بالإضافة إلى أن بعض هذه الأسواق قد ضم ضمن حوانيته الكثير من المنشآت ذات الصفة التجارية والسكنية، مثل إنشاء قيسارية جهاركس[٢] داخل سوق الشرب[٣]، ووكالتى مصطفى جوريجى داخل سوق الفحامين وبجوارهما الربعان السكنيان، وغيرها منشآت أخرى كان لها دورها فى عمران الحارة. ومما سبق يتضح أن الجوذرية قد بدأت مراحل العمران تدب إليها باستيطان هذا العدد الضخم من المغاربة والقادمين مع الجيش الفاطمى، والذين تباينت دياناتهم وغلب عليهم الدين اليهودى،

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، مطبعة الأنوار المحمدية، جـ٢ ،ص٣٢٦.

(٢) هذه القيسارية منسوبة إلى جهاركس ابن عبد الله فخرالدين أبو المنصور الناصرى الصلاحى، كان من أكابر أمراء الدولة الأيوبية فى عهد صلاح الدين، شيدها على يمنة السالك من الغورية إلى باب زويلة والفحامين (عطفة الزيت حالياً). ويعنى اسمه (أربعة أنفس)، وهو لفظ أعجمى ، وقد توفى فى بعض شهور سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م) بدمشق ودفن بجبل الصالحية. أنظر: المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص٨٧-٨٩ .

(٣) عن أسواق الخطط موضوع البحث، انظر: الفصل الأول من الباب الرابع.

فقد استطاع هؤلاء أن يقسموا الموقع وأن يختطوا داخله الدروب والأزقة والعطف، وأن يحيطوا هذا كله بسور يتخلله بوابات تفضى إلى أقسام الحارة المختلفة التى ضمت منازلهم، والتى أرجح أن عددها آنذاك لم يكن ليقل عن الثمانين منزلاً إذ أن العدد (٤٠٠) لو قسم على هذا العدد من المنازل لأصبح يخص كل منزل خمسة أشخاص، وهذه مسألة تقريبة لتبيان حالة العمران الذى كانت عليه الجوذرية آنذاك، وبتعرض هذه الحارة للحريق فإن عمرانها قد أصابه بعض الضرر وبالتالى انخفض عدد هذه العمائر، وعاد إلى تزايده بعد ذلك فى العصور التالية (شكل٢).

المسطاح

يجاور الجوذرية من جهتها الشمالية، ويمتد كذلك ليحدها من الجهة الغربية فيلتقى مع خط الملحيين[١] الذى يعرف الآن بشارع المنجلة المتداخل مع الجوذرية.

وقد ذكر المقريزى عن هذا الخط أنه كان يقع بين خط الملحيين، وخط سويقة الصاحب[٢]، وهذا النص يشير إلى أن تاريخ هذا الخط يعود إلى ما قبل عهد المستنصر (٤٢٦-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م)؛ إذ أن خط الملحيين كان قد اختط زمن الخليفة المستنصر بالله، فضلاً عن أن تسمية هذا الخط بالمسطاح لم تكن متداولة على عهد العزيز بالله عندما شيد الوزير يعقوب بن كلس بهذا المكان سويقته[٣]؛ فعرف الخط بخط سويقة الوزير يعقوب بن كلس، ثم عرف بعد ذلك بخط دار الدبياج بعد أن تحولت دار الوزارة الفاطمية (منزل يعقوب بن كلس) على دار لإنتاج الديباج برسم الخلفاء والوزراء وعلية القوم، والتى ظلت تعمل طيلة القرن السادس

---

(١) خصص هذا الخط للطائفة الملحية، إحدى طوائف العسكر أيام الخليفة المستنصر بالله ، حيث اشتمل على العديد من الطواحين. أنظر: على مبارك : الخطط التوفيقية، جـ٣، ص١٩٠.

(٢) هذه السويقة منسوبة إلى الصاحب صفى الدين عبدالله بن على بن شكر الذى كان يشغل منصب الوزارة فى عهد الملك العادل وظل بها حتى أيام الملك الكامل الأيوبى إذ توفى فى عهده سنة(٦٢٢هـ/٢٢٥م).

(٣) يعقوب بن كلس أول وزراء الدولة الفاطمية، تولى الوزارة أول المحرم سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، واستمر بها حتى توفى فى الخامس من ذى الحجة سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) وهو يهودى من أهل بغداد تنقلت به الأحوال بين العراق والشام حتى وصل مصر، واستطاع الدخول فى خدمة كافور الإخشيدى وأسلم على يديه فى شعبان سنة (٣٥٦هـ/٩٦٦م)، وتولى فى عهد المعز سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م) أمور الخراج وجميع وجوه الأموال والحسبة، وعندما تولى العزيز الخلافة وزره فى أول المحرم سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م) وبقى بها حتى توفى. انظر:محمد حمدى المناوى:الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى، دار المعارف(١٩٧٠م) ص٢٤١.

الهجرى، ثم عرف الخط فى العصر الأيوبى بخط سويقة الصاحب عقب إنشاء الوزير صفى الدين عبدالله بن شكر لسويقته داخل هذا الخط[1].

وعلى ذلك فإن تسمية هذا الخط بالمسطاح قد عرفت قبل عهد الفاطميين؛ إذ ربما استغل الموقع كمسطاح لتخفيف الغلال؛ إذ أن هناك أماكن داخل الطواحين يطلق عليها مسطاحاً خصصت لهذا الغرض[2]، ويبدو كذلك أن هذا المكان قد ضم عدداً منها ضاعت معالمها بقدوم الفاطميين وتخطيط المكان تخطيطاً جديداً ومن المحتمل أن يكون المقريزى قد اطلع على ما يفيد تسمية هذا المكان بالمسطاح قبل العصر المملوكى، الذى عرف فيه (بسويقة الصاحب/ سوق الرقيق)، ومن ثم حرص على ذكر هذا الاسم ليوضح ما طرأ على مسماه من تغيير خلال العصور السابقة عليه.

تطور العمران فى المسطاح

شيد داخل هذا الخط خلال العصور الوسطى والحديثة الكثير من العمائر المختلفة،والتى أمكن الوقوف عليها من خلال المصادر والوثائق المعاصرة.

فمن المنشآت التى شيدت فى العصر الفاطمى بعد سنة (٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) مبنى دار الوزارة، والتى شيدها الوزير يعقوب بن كلس عندما اتخذه الخليفة العزيز بالله وزيراً له سنة (٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، وظلت هذه الدار مقراً للوزارة حتى عهد بدر الجمالى فلم يسكنها، ونزل بدار برجوان بحارة برجوان، ثم شيد ابنه الأفضل شاهنشاه داراً أخرى للوزارة شمال شرق القصر الشرقى الكبير فى نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجرى، وبعد هذا التحول استخدمت دار الوزارة هذه كدار لإنتاج الديباج برسم الخلفاء والوزراء.

وقد كانت هذه الدار تشغل مساحة كبيرة من الأرض شغلت معظم مساحة الخط، وظلت تنتج الأقمشة الحريرية حتى النصف الأول من القرن السادس الهجرى، وقد ساعدت الدار بما حوته من أعداد عمال وصناع وفنانين على عمران الخط، ومع انتهاء عمل هذا الدار بعد النصف الأول من القرن السادس الهجرى بدأت مساحتها تقسم والعمران يضطرد على أرضها

---

(١) المقريزى: المصدر السابق، ص٣٧١.

(٢) محمد الجهينى: أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية، باب البحر، دار نهضة الشرق، ٢٠٠٠م، ص٢٧٣، شكل١٣.

فشغلت بعض منها المدرسة الصاحبية[١]، والدرب المعروف بالحريرى[٢] (عطفة الصاوى حالياً)، والمدرسة السيفية[٣] التى شيدت داخل هذا الدرب. أى أن مساحتها كانت تمتد من شارع سويقة الصاحب (اللبودية حالياً) من الشرق إلى الغرب، وشارع بيبرس من الشمال إلى الجنوب مع تقاطعه مع شارع المنجلة الذى يحد هذه المساحة من الجنوب، حتى يلتقى مع شارع درب سعادة الذى يحده أيضاً من الجهة الغربية. وبعد أن سكن هذا الخط الوزير صفى الدين عبدالله بن على بن شكر أيام الملك العادل أبو بكر بن أيوب، صار هذا الخط يعرف به خاصة بعد تشييده للمدرسة، والسويقة السابق الإشارة إليها حيث حلت هذه السويقة محل دار الديباج فى إطلاقها على خط المسطاح، وأصبح يعرف بخط السويقة الصاحب.

وقد شيدت مدرسته هذه على جزء من دار الديباج السابق ذكرها، وجعلها وقفاً على المالكية، وكانت تقوم إلى جانب تدريس الفقه المالكى بتدريس النحو والعلوم الأخرى، وظلت هذه المدرسة بيد أولاده إلى أن جدد عمارتها القاضى علم الدين ابن ابراهيم بن عبد اللطيف بن ابراهيم المعروف بابن الزبير ناظر الدولة فى أيام الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وذلك فى سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م)، وأوجد بها منبراً وصار يصلى بها الجمعة حتى عهد المقريزى[٤].

هذا وقد اندثرت هذه المدرسة الآن ولم يتبق منها سوى الأطلال، وقد أشار المناوى فى طبقاته بأن هذه المدرسة سكنها الشيخ أحمد اليمنى المغربى وهو رجل مجذوب من وفيات القرن (١١هـ/ ١٧م)، مما يدل على بقائها حتى هذه الفترة[٥]. بعدها اضمحل حال هذه المدرسة وشيد فوقها زاوية – ولم يحدد على مبارك تاريخ إنشاءها – بعد ذلك عرفت باسم منشئتها الست (بيرم). وقد استمر تشييد المدارس داخل هذا الخط خلال العصر المملوكى. ففى سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٥م)، شيد نائب السلطنة بالديار المصرية الأمير "حسام الدين طرنطاى

---

(١) السخاوى (نور الدين على بن أحمد بن عمر بن خلف): تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٦م، ص٦٧.

(٢) عنه انظر: الفصل الثانى من هذا الباب.

(٣) أنشأها سيف الإسلام طغتكين: زهير الدين الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان الأيوبى المتوفى سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م) . انظر: السخاوى: المصدر نفسه، ص٦٧.

(٤) القريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٧١.

(٥) السخاوى: المصدر نفسه، ص٦٨، وعلى مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٦٦.

المنصورى "[1] مدرسةللفقهاء الشافعية بجوار منزله وذلك داخل الدرب المعروف بالحريرى – عطفة الصاوى- أى بالجهة الجنوبية من المسطاح.

وهذه المدرسة وجدت بجانب المدارس التى ورثها الخط من العصر الأيوبى، وهى المدرسة الصاحبية والمدرسة السيفية التى جاورتها مدرسة "حسام الدين طرنطاى".

ومع تزايد الإقبال على التعلم شيد القاضى شمس الدين محمد إبراهيم القيسرانى أحد موقعى الدست بالقاهرة مدرسته فى ربيع الأول سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)[2] وذلك بجوار المدرسة الصاحبية داخل العطفة المعروفة الآن بالست بيرم. وفى نفس السنة شيدت السيدة "أيدكين" زوجة الأمير "سيف الدين يكجا الناصرى" (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) مدرستها داخل شارع بين العواميد – بيبرس حالياً- وعرفت هذه آنذاك بالمدرسة الصغيرة[3].

وبعد ذلك بأقل من نصف قرن شيد الأمير "مقبل الرومى" زمام الأدر الشريفة فى عهد السلطان برقوق فى الجهة الشمالية من الخط مدرسته التى جعل بها درساً، كما أسكن بها بعض الصوفية وجعل بها منبراً ليخطب عليه فى كل جمعة[4]. وفى منتصف القرن التاسع الهجرى شيد الجمالى يوسف بن عبد الكريم استادار الأشرف برسباى داخل هذا الخط، وفى مواجهة المدرسة الزمامية مدرسته[5] بجانب داره كما شيد بجواره معصره[6] لخدمة أهل داره وكذلك أهل الخط، وهذه الكثرة فى تشييد المدارس قد كان الباعث عليها فى العصر الأيوبى محاربة المذهب الشيعى عن طريق الإكثار من تشييد المدارس التنى استمرت تؤدى رسالتها خلال العصر المملوكى، واستمر هذا العصر أيضاً فى تشييد المدارس بكثرة حيث شيدها الأمراء والقضاة والسلاطين وغيرهم، وذلك لانتشار التصوف فى ذلك العصر، وقد حظى هذا

---

(١) انظر ترجمته، وكذلك الوصف المعمارى والزخرفى لمدرسته وتحليل عناصرها المعمارية ضمن الفصل الأول من الباب الثانى.

(٢) توفى هذا القاضى بعد الانتهاء من المدرسة بعام واحد أى فى سنة (٧٥٢هـ/١٣٥١م). المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٩٤.

(٣) المقريزى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٣١، وعلى مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٥٩.

(٤) المقريزى: المصدر نفسه، جـ٢، ص١٩٤، والسخاوى: المصدر السابق، ص٦٧.

(٥) عن هذه المدرسة أعد أ.د. عادل شريف رسالته للماجستير بكلية الآداب بسوهاج/جامعة أسيوط ١٩٨٣م.

(٦) لهذه المدرسة وثيقتا وقف برقم ١٠٥، ١٤٧/دار الوثائق القومية، لم تتضمن أى منهما الوصف المعمارى للمدرسة وإنما سجل بها أوقاف المنشئ.

الخط فى ذلك العصر بإنشاء أربعة مدارس بجانب المدارس التى ظلت تؤدى رسالتها منذ العصر الأيوبى.

وقد كان لهذه المدارس دورها فى إثراء الناحية العمرانية داخل هذا الخط، بما اشتملت عليه من موظفين وطلبة وصوفية سكن بعضهم داخل هذه المنشآت وسكن البعض الآخر داخل الخط، فضلاً عن ذلك فإن وجود السويقة المعروفة بالصاحب داخل هذا الخط قد أدى كذلك إلى اضطراد العمران داخله، وذلك بما اشتملت عليه من حوانيت ومنشآت تجارية، ومنازل لهؤلاء التجار ساهمت جميعها فى التشكيل العمرانى لهذا الخط من حيث أقسامه التخطيطية وما حوته من عمائر.

ومن العمائر المدنية التى شيدت فى العصر الجركسى أيضاً منزل القاضى يحيى زين الدين الذى شيده عام (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) فى مواجهة جامعة – الذى يوجد حالياً بأول شارع الأزهر– وهذا المنزل كان على رأس سويقة الصاحب[١].

وظلت معظم هذه العمائر خلال العصر العثمانى الذى تميز الحى فيه بازدياد نشاطه التجارى فى بيع الصينى ونحوه حيث تخصص فى بيعه التجار النمارسة، مما أدى إلى إنشاء بعض الحوانيت، والمنازل لهؤلاء التجار ومنها بعض منازل للحاج حسن مدكور النمرسى رئيس تجار النمارسة[٢]. والتى ربما شيدت على أنقاض بعض العمائر الأخرى، ولكنها تشير إلى الإضافة العمرانية فى هذا العصر، رغم ذلك فإنها درست أيضاً، ولم يصلنا إلا أخبارها.

ومما سبق يتبين أن الخط قد شهد تطوراً عمرانياً كبيراً فى العصر الفاطمى؛ إذ شغلت مساحته كاملة دار الوزارة الفاطمية التى عرفت بعد ذلك بدار الديباج التى قسمت بعد القرن السادس الهجرى إلى أقسام تخطيطية، ميزت هذا الخط بواسطة العمائر التى شيدت داخل مساحتها. وفى العصر الأيوبى شيدت داخل الخط مدرستان، زيدت فى العصر المملوكى إلى ست مدارس، بجانب منشآت التجار وغيرهم، واستمرت فى العصر العثمانى كذلك مع تدهور حالة بعض المنشآت وبناء أخرى فوقها، مثل: المدرسة الصاحبية التى شيدت فوقها زاوية الست

---

(١) الزينى يحيى وثيقة وقف ١١٠/دار الوثائق القومية، مؤرخه (٨٥٥هـ/١٤٥١م) سطر ٣٠٧-٣٢٠.

(٢) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٦٧. والنمارسة هنانسبة إلى قرية أبو النمرس التابعة لمحافظة الجيزة فى الوقت الحالى. انظر: محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، دار الكتب ١٩٦٠م، جـ٣، ص٣.

بيرم، وبناء الكثير من حوانيت التجار ومنشآتهم السكنية، أى أن حالة العمران داخل هذا الخط قد سارت أيضاً فى ازدهار حتى نهاية العصر العثمانى[١].

حارة المحمودية

تتاخم الجوذرية من الجهة الجنوبية، ويحدها من الجنوب جامع المؤيد شيخ (٨١٨-٨٢٣هـ/ ١٤١٥-١٤٢٠م)، ومن الغرب جزء من شارع درب سعادة، ومن الشرق جزء من قصبة القاهرة وهى المنطقة المعروفة بالسكرية، وهذه الحارة من الحارات التى تعود للعصر الفاطمى. فقد ذكر المقريزى أنها منسوبة لطائفة من طوائف العسكر الفاطميين كان يقال لها: المحمودية[٢]؛ غير أن هذا النص لم يتضمن التاريخ الذى أتت فيه هذه الطائفة إلى هذا الموقع ولا اسم الخليفة، ويشير القلقشندى إلى تاريخ قدوم هذه الطائفة؛ فيذكر نقلاً عن ابن عبد الظاهر أنها منسوبة إلى الطائفة المعروفة بالمحمودية القادمة فى أيام العزيز بالله الفاطمى إلى مصر[٣].

وعلى حين يؤكد ابن عبد الظاهر نسبة هذه الحارة إلى إحدى طوائف العسكر الفاطميين والتى كان يقال لها: المحمودية وذلك فى ضوء ما أورده القلقشندى نجد المقريزى يقول: إن أمر هذه الحارة قد اشتبه على عبد الظاهر، فلم يعرف نسبتها وقال: لا أعلم فى الدولة المصرية من اسمه محمود إلا ركن الإسلام محمود ابن أخت الصالح طلائع بن رزيك[٤] ومحمود بن مصال[٥] اللكى[٦] الوزير.

وهذا النص يتعارض تماماً مع ما أورده القلقشندى عن ابن عبد الظاهر فبينما يؤكد نص القلقشندى نسبة هذه الحارة إلى طائفة من طوائف العسكر الفاطميين يقال لها: المحمودية، نجد نص المقريزى ينفى معرفة ابن عبد الظاهر نسبة هذه الحارة، كما أن نص القلقشندى يرجع هذه الطائفة إلى عهد العزيز بالله الفاطمى، والمقريزى يرجعها إلى أواخر العصر الفاطمى. وإننى

---

(١) انظر: ش (٣) عن التطور العمرانى لهذا الخط.

(٢) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢،ص٤٠٥. Margoliouth, (D.S), OP.cit. P.23.

(٣) القلقشندى: المصدر السابق، جـ٣، ص٣٥٧.

(٤) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص٥.

(٥) هو الأمير الأفضل: أبو الفتح نجم الدين سليم بن مصال اللكى (لم يتسم: محمود)، تولى الوزارة مرتين، الأولى: منذ (٥٣٤هـ/١٣٣٩م) إلى سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) والثانية فى جمادى الآخرة سنة (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) إلى ١٤شعبان من السنة نفسها. انظر: محمد حمدى المناوى: المرجع السابق، ص٢٨٠- ٢٨٢.

(٦) اللكى: نسبة إلى لك، وهى قرية من أعمال برقة. المرجع نفسه، ٢٨٢.

أميل إلى رأى القلقشندى فى نسبة هذه الحارة وفى الزمن الذى أتت فيه إلى هذا الموقع، فالقلقشندى أقدم عهداً من المقريزى وربما اطلع على ما يفيد ذلك من ابن عبد الظاهر الذى يتشابه اسمه - على ما يبدو - مع المؤرخ الذى رجع إليه المقريزى خاصة أن المقريزى يهاجم ابن عبد الظاهر فى كثير من الأخبار التى أوردها والتى ثبت عدم صحتها[1] مما يفيد أن مؤرخ المقريزى الذى اعتمد عليه ليس هو نفسه مؤرخ القلقشندى، يتأكد ذلك من أن النصين الواردين فى شأن حارة المحمودية يختلف كلاً منهما عن الآخر اختلافاً كلياً.

وعلى ذلك يمكن القول إن هذه الحارة تنسب إلى إحدى طوائف العسكر الفاطميين القادمين زمن العزيز بالله الفاطمى، الذين اتخذوا من هذا الموضع خطة لهم عرفت بحارة المحمودية.

تطور العمران بحارة المحمودية

قبل أن يأتوا من نسبت الحارة لهم فى زمن العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٦-٩٩٦م)، كانت هناك منشأة حكومية تحتل الموضع الذى شيد عليه المؤيد شيخ المحمودى مسجده (٨١٨-٨٢٣هـ/ ١٤١٥-١٤٢٠م)، هذه المنشأة هى الأهراء السلطانية، أى مخازن الغلال التى خصصها الخلفاء الفاطميون لحفظ هذه الغلال، التى تخصص لأرباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وجرايات العبيد السودان، وأيضاً ما ينفق برسم خاص للخليفة، بالإضافة إلى إخراج جرايات رجال الأسطول[2].

وقد عمل فى هذه المخازن عدد غير قليل من الصناع والحرفيين والكتاب والحمالين وغيرهم ممن سكنوا الحارة وعمروها، حتى أتت إليهم طائفة المحمودية فازداد عمران الحارة.

وقد تحولت هذه المخازن إلى سجن فى العصر الأيوبى عرف بخزانة شمائل[3]، وظلت هكذا إلى أن سجن بها السلطان المؤيد شيخ نفسه الذى نذر لله أنه لو أطلق سراحه سوف يهدم هذه الخزانة ويشيد فوقها مسجداً، وبالفعل تم له ما أراد وشيد بجوار المسجد حماماً ومنزلاً، ومن

---

(١) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٦-١٧.

(٢) المقريزى: المصدر نفسه، جـ١، ص٤٦٥.

(٣) شمائل هذا: هو الأمير علم الدين من إحدى قرى مدينة حماة، قدم إلى مصر فى أيام الملك الكامل، وحظى عنده بالاهتمام، فعينه أمير جاندار وجعله من أكبر أمرائه وولاة ولاية القاهرة، فباشر ذلك إلى أن مات السلطان. انظر المقريزى: الخطط، جـ٢، ص١٨٨.

عمائر العصر الأيوبى ما شيده السلطان العادل الأيوبى داخل هذه الحارة وهو عبارة عن دارين شيدهما سنة (٦٣١هـ/ ١٢١٦م) الأولى كانت تجاور عدة منشآت ربما شيدت قبلها أو معاصرة لها، حيث كان يقابلها فى الجانب القبلى طاحونة لعبد القوى الصانع، وفى الجهة الشرقية داراً عرفت بدار عمار، أما الجهة البحرية فكانت بها دار يوسف بن غطاس البنا[١].

أما الدار الأخرى فكانت تجاور من الجهة القبلية دار على السقا، ومن الجهة البحرية دار الفقيه داود المليجى[٢] التى اشتملت على طاحونة تجاورها.

كما شيد كذلك فرناً واجهت الدار الأولى وواجهت طاحون الفقيه داود، كذلك شيد السلطان العادل بدرب الصغيراء[٣] داراً عرفت بشاه ملك بن صالح الحافى؛ حيث كانت تقع على ميسرة من دخل إلى الدرب المذكور، وقد كانت تشتمل على باب يؤدى إلى ساحة تشتمل على خمسة مخازن وسلم يؤدى إلى الأدوار العليا التى بلغت عدتها دورين ضمن ثمانية منازل ومرافق ذلك وحقوقها.

وقد شيدت داخل هذا الدرب بعد ذلك مجموعة منشآت جليلة دخلت جميعها ضمن جامع المؤيد شيخ الذى أدخل فيه خزانة شمائل، ودرب الصغيراء وما كان يضمه من منشآت.

وشيد بجواره داراً له، وكذلك حماماً برسم الرجال والنساء لخدمة أهل الحارة فى تلك الفترة، والتى استمرت تؤدى دورها بعد ذلك حتى تاريخ غير بعيد عندما أصابها الخراب.

أما فى شارع سوق المؤيد التابع للحارة، فقد شيد به السلطان قلاوون (٦٧٩-٦٨٩هـ/ ١٢٨٠-١٢٩٠م) سبيلاً ظل يؤدى دوره فى خدمة أهل الحارة إلى أن تخرب وجدد فى سنة (١١٧١هـ/ ١٧٥٧م)[٤]، وقد درست معالمه بعد ذلك، وهذه المنشآت التى ضمتها الحارة منذ العصر الفاطمى وحتى العصر المملوكى تتسم بأن معظمها منشآت خدمية كالطاحونة والفرن، والحمام والسبيل، وعلى ذلك فإن الإشارة إليهم تلقى الضوء على ما تمتعت به الحارة من

---

(١) السلطان العادل: وثيقة رقم ٢/دار الوثائق القومية، سطر ١٣١-١٣٣.

(٢) الوثيقة نفسها: سطر ١٣٦-١٣٨.

(٣) كان هذا الدرب بجوار باب زويلة وهو من حقوق حارة المحمودية، وهو الآن (زمن المقريزى ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) غير نافذ، ورغم ذلك يقول: إن هذا الدرب قد دخل بجميع ما كان فيه من الدور الجليلة بالجامع المؤيدى (٨١٨-٨٢٣هـ) مما يشير إلى التناقض الواضح فى الخبر الذى أورده. أنظر: المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص٤١.

(٤) على مبارك: الخطط، جـ٦، ص١٧٩.

عمران خلال تلك العصور. وفى العصر العثمانى استمر العمران فى اطراد داخل الحارة، بجانب تعرض بعض المنشآت للدمار فتهدم وتشيد فوقها أخرى، ومن المنشآت التى شيدت فى ذلك العصر: سبيل على بك الدمياطى الذى شيده بالقرب من درب سعادة، وشيد فوقه كُتَّاباً لتعليم أيتام المسلمين القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وذلك فى سنة (١١٢٢هـ/ ١٧١٠م)[١].

كما شيد حسن بك الجداوى منزلاً له داخل العطفة التى عرفت بإسمه خلال القرن الثامن عشر قبل (١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م) وهو تاريخ وفاته[٢]. كما شيدت فى هذا العصر وكالة معدة لبيع الأشراق (الحطب والوقود) داخل هذه الحارة وذلك بالقرب من جامع المؤيد[٣] والتى لا تزال بقايا من جدرانها باقية حتى اليوم. ولم يحدد على مبارك تاريخ تشييدها، ونتيجة لتخصص هذه الوكالة فى بيع الأشراق أطلق على هذه الحارة اسم الإشراقية. بالإضافة إلى ذلك فقد سكن داخل هذه الحارة العديد من الصناع الذين تخصصوا فى صناعة المناخل وطارات الغرابيل فعرف الحى أو الحارة بالمناخيلية. وقد شيد هؤلاء الصناع منازلهم وحوانيتهم داخل الحارة، وعلى ذلك فإن العمران لم يتوقف خلال هذا العصر وغدت الحارة تضم عدداً من العمائر تخص الأمير والأجير والصانع والتاجر، مما يشهد للحركة العمرانية داخلها فى ذلك العصر بالنهضة والتقدم (أنظر ش٤) عن تطور المحمودية العمرانى.

ومما سبق يتبين أن عمران المحمودية قد بدأ قبل قدوم هذه الطائفة إليها بتشييد مخازن الغلال التى أدى العمل بها إلى عمران الحارة، الذى اكتمل بقدوم طائفة المحمودية وتزايد فى العصر الأيوبى بإنشاء الكثير من العمائر الخدمية التى شيد بجانبها فى العصر التالى بعض المنشآت الدينية والسكنية وذات الصفة الاجتماعية، أما العصر العثماني فقد شهد تزايد أعداد العمائر ذات الصفة التجارية، وكذلك العمائر السكنية بنسة مساوية للعصر المملوكى.

وبعد استعراض تاريخ كل خط وتطوره العمرانى يتضح الآتى:

١) إن عمران الجوذرية والمسطاح والمحمودية قد بدأ فى العصر الفاطمى، بلغ ذروة تقدمه فى الجوذرية وبنسبة مساوية فى المسطاح وأقل فى المحمودية، ثم انخفض عمران الجوذرية فى نفس العصر مع استمرار مستوى العمران فى كل من المسطاح والمحمودية حتى نهاية العصر.

---

(١) انظر ترجمته فى الفصل الثانى من الباب الثالث.

(٢) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٩٧.

(٣) على مبارك: الخطط، جـ٣، ٢٠١.

٢) تزايد العمران فى الصر الأيوبى فى الأخطاط الثلاثة، وإن كان فى المحمودية قد بلغ ذروته بعدها المسطاح ثم الجوذرية واستمر ذلك حتى نهاية العصر.

٣) أما فى العصر المملوكى فقد تزايدت عمائر الأخطاط الثلاثة بحيث بلغت الجوذرية أعلى معدلاتها يتبعها المسطاح ثم المحمودية.

٤) وفى العصر العثمانى شيدت فى الأخطاط الثلاثة عمائر أخرى تضاف لرصيدها الموروث من العصور السابقة، وإن كانت قد حلت محل بعض هذه الآثار، وقد اتسمت الجوذرية فى ذلك بارتفاع أعداد عمائرها فى ذلك العصر، يليها المحمودية ثم المسطاح (ش٢، ٣، ٤).

** ** ** **

الفصل الثانى

التخطيط

يتضمن التخطيط الإشارة إلى عدد من المسميات مثل: الحارة والخط والدرب والزقاق والرحبة والعطفة والخوخة تشكل فى مجموعها التخطيط العام للموقع.

ومن حيث الحارة فمن الملاحظ أن مواقع القاهرة العمرانية قسمت إلى حارات منذ الفتح الفاطمى لمصر، وذلك بعد أن كانت مقسمة إلى أخطاط داخل مدينة الفسطاط[١].

ويشير المقريزى – نقلاً عن ابن سيدة – إلى مفهوم الحارة على أنها تعنى كل محلة دنت منازلها، والمحلة هى منزل القوم[٢]، أى أن الحارة كانت تضم مجموعة من المنازل لعدد معين من السكان، وعلى ذلك اختطت الحارة التى اتخذت تخطيطاً وفقاً للأسلوب الذي شيدت به هذه المنازل سواء أكانت متقاربة أم متباعدة، محاذية أم منحنية.

وسبق الإشارة إلى العدد الذى سكن الجوذرية فى العصر الفاطمى، هذا العدد الذى كان له الفضل فى ازدهار الجوذرية عمرانياً آنذاك، غير أن المصادر التاريخية قد التزمت الصمت نحو التخطيط الذى كانت عليه هذه الحارة، فلم تشر من قريب أو من بعيد إلى أى من العناصر التخطيطية التى اشتملت عليها الحارة فى ذلك العصر، ورغم ذلك فإن العدد الذى اختطها يشير بوضوح إلى أن مفهوم الحارة آنذاك يختلف تماماً عن مفوهمها اليوم، إذ أن سكنى أربعمائة شخص داخل حارة واحدة أمراً لا يعقل، ومن ثم فإن تشييد هؤلاء لمساكنهم داخل هذه الحارة قد تم – على ما يبدو– على نسق الأخطاط التى تضم مجموعة من المنازل فى كل خط، وعلى ذلك فإن مفهوم الحارة فى العصر الفاطمى أعم وأشمل من مفهوم الخط الذى يعد عنصراً من عناصرها التخطيطية.

وعلى الرغم من قلة المعلومات التى تكشف عن تخطيط حارة الجوذرية فى العصر الفاطمى، إلا أن المعلومات الواردة عن مكوناتها فى العصور التالية والتى تناولها المقريزى بالتفصيل تشير إلى تخطيطها فى ذلك العصر، والذى استمرت عليه حتى شاهدها المقريزى وكتب عنها مع بعض العناصر المستحدثة.

---

(1) Becker, (C.H), Cairo, Encyclopedia Of Islam, Vol.I P.622.

(٢) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص٢.

Al Messiri (N), The Concept Of the Hara Ahistorical & Sociological Study Of Alsukkariyya, Annales Islamolojique Tome VX, (I.F.A.O), 1979, P.313.

ويمكن أن نستنتج ذلك من خلال النصوص التالية:

فقد ذكر المقريزى عند حديثه عن رحبة بن علكان[1]: "إن هذه الرحبة بالجوذرية فىالدرب المجاور للمدرسة الشريفية". يشير هذا النص إلى أن الحد الشمالى للجوذرية كان عند المدرسة الشريفية (الجامع المعروف بابن العربى أثر ٤٥٩)، أما النص الثانى فيشير إلى حدها الجنوبى حيث يشير فى مجمل حديثه عن قيسارية بيبرس الجاشنكير إلى ذلك".. هذه القيسارية على رأس باب الجوذرية من القاهرة موضع داراً كانت تعرف بدار الأنماط"[2].

ولما كانت هذه القيسارية تحتل بعض المنشآت التى توجد الآن على رأس شارع سوق المؤيد فإن هذه الجهة هى الحد الجنوبى للجوذرية.

وعلى ذلك يمكن القول: إن هذه الحارة كانت تمتد بشكل مواز لقصبة القاهرة وذلك من الشمال إلى الجنوب، واستمرت على ذلك حتى عهد المقريزى الذى أشار إلى هذا التخطيط من خلال النصوص السابقة، رغم أن عصر المقريزى قد شهد وجود عناصر تخطيطية عديدة غيرت بعض الشيء من التخطيط الذى كانت عليه فى العصور السابقة.

وقبل الحديث عن عناصر التخطيط لكل حى من تلك الأحياء يجب الإشارة إلى أن المسميات المختلفة التى أطلقت عليها خلال العصور المختلفة. فقد أطلق على حارة الجوذرية والمحمودية بعض المسميات المختالفة منذ العصر الفاطمى وحتى نهاية العصر العثمانى، فعرفت الجوذرية فى العصر الفاطمى بحارة الجوذرية واستمرت على ذلك حتى العصر العثمانى الذى أطلق عليها فيه ثلاثة مسميات. الأول: هو حارة الجوذرية[3] والثانى: خط حارة الجوذرية[4]، والثالث خط الجوذرية[5]، فى حين أطلق على المحمودية فى العصر الفاطمى اسم حارة المحمودية، وفىالعصر الأيوبى خط المحمودية"[6]، واستمرت على ذلك حتى نهاية العصر العثمانى مع تغيير اسم المحمودية إلى الإشراقية دون اسم خط، أما المسطاح فقد عرف منذ عصر

---

(١) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٩.

(٣) محكمة القسمة العربية: سجل (١١) لسنة (١٠٠٣-١٠٠٥هـ/١٥٩٤-١٥٩٦م) وثيقة/٦٩٩، ص٤٥١.

(٤) محمكة الصالح: سجل (٣١٥) لسنة (١٠٠٠-١٠٠١هـ/١٥١٩-١٥٩٢م) وثيقة/٢٢٨، ص٧٣.

(٥) محكمة الصالحة النجمية: سجل (٣١٥) لسنة(١٠٠٨-١٠٠٩هـ/١٥٩٩-١٦٠٠م) وثيقة/٤٤٤، ص١٠٩.

(٦) السلطان العادل الأيوبى:وثيقة وقف٢/دار الوثائق القومية. مؤرخه٢٩رمضان (٦١٣هـ١٢١٦م) سطر ١٣١

المقريزى باسم خط المسطاح رغم تقسيمه قبل ذلك العصر إلى دروب عديدة، واختفاء اسم المسطاح ليحل محله أسماء الدروب التى يضمها فى العصور السابقة.

ويرجع السبب فى اختلاف مسميات هذه الأخطاط ما بين خط، وخط حارة، وحارة إلى الآتى:

١) أطلقت كلمة حارة على كل من الجوذرية والمحمودية فى العصر الفاطمى إشارة إلى أن موضع كل منها قد خصص لسكنى أتباع كل طائفة.

٢) عرف خط المسطاح فى العصر الفاطمى باسم دار الديباج بعد تحويل مبنى دار الوزير يعقوب إلى منشأة صناعية لإنتاج الديباج، وبالتالى فإن كلمة خط فى ذلك العصر قد كانت تعنى المساحة التى شغلت بمنشأة واحدة، عمل بها عدد غير قليل من الصناع والفنانين اتخذوا منازلهم بالقرب منها، ونتيجة لما تمتعت به من شهرة أطلق عليها خط دار الديباج بدلاً من المسطاح الذى ضاعت معالمه بعمران مساحته.

٣) استمرت كلمة حارة التى أطلقت على الجوذرية والمحمودية فى العصر الفاطمى تطلق على الجوذرية خلال العصور التالية، فى حين عرفت المحمودية منذ العصر الأيوبى بخط المحمودية، والسبب فى ذلك راجع إلى أن مساحة الجوذرية أكبر من مساحة المحمودية، كما أن الجوذرية قد ضمت بين عناصرها التخطيطية بعض الأخطاط التى عرفت باسم من اختطها أو بمنشأة داخلها مثل خط الملحيين، وخط دكة الحسبة، ومن ثم فإن مصطلح حارة الذى أطلق عليها كان أعم وأشمل من كلمة خط، أما فى العصر العثمانى فقد أطلق عليها خط حارة الجوذرية، وخط الجوذرية بالإضافة إلى إطلاق كلمة حارة. والسبب فى ذلك راجع إلى أن كلمة خط قد شاع استعمالها وأطلقت على العديد من الأخطاط بمدينة القاهرة لاتساع معناها فى ذلك العصر عن معنى كلمة حارة فأطلق عليها "خط حارة الجوذرية" لبيان أن كلمة خط هذه التى أطلقت على الجوذرية قد كان قبل ذلك يرادفها كلمة "حارة" التى ضاق معناها فى ذلك العصر عن معنى الخط الذى أصبح يشتمل على عدة حارات، كما أن إطلاق كلمة خط فى ذلك العصر قد تم على المواضع التى أصلها حارات، وبذلك يتضح اتساع معنى الحارة فى العصور السابقة للعصر العثمانى، وضيق معناها فى العصر العثمانى فاستبدل بها فى المعانى الخط الذى لم يكن إطلاقه وليد ذلك العصر، وإنما عرف فى العصر الفاطمى واستمر معروفاً فى العصور التالية حتى عصر محمد على الذى عدَّل تقسيم القاهرة من أخطاط إلى ثمانية أثمان

كل ثمن ينقسم إلى شياخات تكثر وتقل وفقاً لكبر الثمن وصغره، ولكل ثمن شيخ كان يعرف بشيخ الثمن ولكل شياخة شيخ يعرف بشيخ الحارة[١].

وكانت الحارة أو الخط تشتمل على دروب وأزقة وخوخ ورحاب يعتمد عليه تخطيطها.

الدرب : من مكونات الحارة أو الخط، وهو يعنى باب السكة الواسع، أو الباب الأكبر[٢]. وبمفهوم الخطط فهو أحد مشتملات الحارة أو الخط، والذى كان يضم بدوره الأزقة والعطف، ولقد حظيت بعض الدروب بشهرة واسعة، مما جعل اسم الدرب ينسحب على الخط بأكمله مثلما أطلق اسم الدرب الأصفر على حى الجمالية، ودرب الأتراك على حار الأتراك بالباطنية[٣].

الزقاق : هو السكة، وقيل: الطريق الضيق، هو دون السكة والجمع: أزقة، والزقاق: طريق نافذ وغير نافذ ضيق[٤]. وهو من مشتملات الدرب، ويشتمل عادة على عدة منازل مثله فى ذلك مثل العطفة، وفى كثير من الأحيان كان الزقاق ينفذ منه إلى الكثير من الأزقة التى كانت تضمها الدروب التى تتكون منها الحارة أو الخط[٥].

الخوخة : كوة فى البيت يدخل إليها الضوء[٦]، وهى مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب، وقد اشتملت حارة الجوذرية على بعض الخوخ الذى ذكرتها وثائق العصر العثمانى مثل: خوخة الباشوش المعروفة بكاتب المماليك بعد ذلك[٧].

الرحبة : هى الميدان، وقد أوجدها المعمار داخل الأخطاط المذكورة كضرورة تنظيمية للمنشآت، وقد وصل إلينا منها رحبة ابن علكان التى عرفت بعد ذلك برحبة الأزدمرى، ورحبة كتبغا وكانتا بحارة الجوذرية، الأولى – سكة الشرايبى الآن- والثانية كانت تحتل جزءاً من

---

(١) على مبارك: الخطط، جـ١، ص٢١٦.

(٢) الزبيدى (محمد مرتضى الحسينى): تاج العروس من جواهر القاموس، جـ٢، تحقيق على هلال، الكويت ١٩٦٦م، ص٤٠٢.

(٣) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٠.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثانى، ص٣٤.

(٥) السلطان برقوق: وثيقة وقف ٥١/دار الوثائق القومية ٤ شعبان (٧٩٦هـ/١٣٩٣م)، سطر ٢٠٦.

(٦) ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، ص٩١٦، ٩١٧.

(٧) محكمة الصالح: سجل (٣١٥) لسنة (١٠٠٠-١٠٠١هـ/١٥٩١-١٩٥٢م) وثيقة/٢٢٨، ص٧٣.

أرض منزل محمد المحروقى. وهذه العناصر هى التى اعتمد عليها تخطيط كل قسم من أقسام الدراسة، التى سأفصل القول عنها فيما سيأتى.

تخطيط حارة الجوذرية

يعتمد تخطيط الجوذرية الحالى على طريق يوازى قصبة القاهرة أطلق عليه درب الاحتساب، يربط ما بين الطريق المعروف بسكة الشرايبى وشارع الجوذرية، يخرج من هذا الطريق شارع يعرف بالمنجلة يتعامد عليه شارع بيبرس، وذلك من الجهة الغربية. ويوازى شارع المنجلة بجوار بيبرس الخياط شارع الجوذرية الكبيرة، ويمتد الشارع المعروف بدرب الاحتساب ليتعامد عليه بعد ضريح الجوذرى عطفتان وزقاق هما عطفة الجوخى، وعطفة الجوذرية.

يتعامد على الشارع المعروف بدرب الاحتساب جنوباً شارع الجوذرية الصغيرة الذى يتعامد عليه جهة الجنوب شارع المنجدين – سوق المؤيد الداخل مع خط المحمودية- ويتبع حارة الجوذرية فى هذا الشارع حارة الجوذرية الصغيرة المتعامدة على شارع المنجدين جهة الغرب، وهذه الحارة يتعامد عليها جهة الجنوب زقاق النخلة الذى يشتمل جهة الشرق على زقاق السكر وزقاق أبى على.

يوازى درب الاحتساب جهة الشرق شارع الفحامين، وهذا الشارع يتعامد عليه جهة الغرب سكة الشرايبى فيتعامد عليها جهة الشمال حارة حلقوم الجمل، وعطفة الحمام (ش٩).

وهذا الوصف العام لعناصر حارة الجوذرية التخطيطية فى العصر الحالى يرتبط به الإشارة إلى الأصول التاريخية لكل عنصر وما طرأ عليه من تغيير.

١ – شارع المنجلة: (خريطة ش٥، ١١):

عرف هذا الشارع فى العصر الفاطمى بخط الملحيين، وهو يمثل الحد الجنوبى لخط المسطاح، ويتعامد على حارة الجوذرية جهة الغرب، كما أنه يتعامد مع شارع بيبرس من الجهة الجنوبية، وقد اختطته الطائفة الملحية التى كانت على عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى[1] (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م)، وهو الآن يربط بين الجوذرية وشارع درب سعادة ويبلغ طوله ٣٤٠متراً. وقد أطلق على هذا الخط – بعد وفاة المقريزى (ت٨٤٥)- أسماء أخرى غير هذا

(١) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٢، وأبو السرور البكرى: قطف الأزهار من الخط والآثار: مخطوط بدار الكتب رقم (٤٥٧)جغرافيا ص١١٣.

الاسم، حيث عرف باسم خط سيدى حبيب النجار[١]، ثم عرف بعد ذلك بشارع المنجلة نسبة إلى المنجلة التى كانت معدة للقطنى والشاهى ونحو ذلك[٢]، حيث كانت تقع بجوار مدرسة الأمير فيروز الساقى التى شيدها فى بداية هذا الخط من جهة درب سعادة سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م). وقد كان الخط يشتمل على عطفة صغيرة غير نافذة – لازالت حتى الآن – تعرف بعطفة الصابونجية[٣] تقع على يسار المار من مدرسة بيبرس الخياط إلى درب سعادة، وربما عرفت بعد ذلك نسبة إلى تجار الصابون الذين قطنوها فى العصر العثمانى.

ولقد حدث بعض الخلط بين هذا الخط والدرب المعروف بملوخيا الذى ينسب إلى ملوخيا الفراش، الذي كان يشغل وظيفة صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله، الذى اختطته بالجمالية، حيث كان يعرف بحارة قائد القواد[٤]، ثم عرف بدرب القزازين بشارع أم الغلام بجوار المشهد الحسينى من الجهة الشرقية[٥]؛ حيث نسب بعض المؤلفين هذه المعلومات المتعلقة بدرب ملوخيا إلى خط الملحيين، كما كتبوا الملحيين (الملخيين)، وذلك لا يتفق والحقيقة المنوه إليها سلفاً. قد كان من عناصر هذا الخط التخطيطية فى العصر المملوكى الجركسى درب يعرف بكاتب سيدى[٦] أحدثه داخل هذا الخط فى ذلك العصر تقى الدين الأطربانى أحد موقعى الحكم عند قاضى القضاه تقى الدين الإخناوى[٧] وذلك بعد سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)، على المساحة التى كانت تحتلها دار له شيدها بين الوزيرية ودار الديباج قبل سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) ولما حالت هذه الدار بين خط الملحيين وبين درب سعادة هدمها وأنشأ بدلها هذا الدرب الذى

---

(١) نسبة إلى الشيخ حبيب النجار الذى شيد لنفسه زاوية داخله لازالت موجودة حتى الآن، وقد ورد اسم هذا الخط ضمن وثيقة وقف بيبرس الخياط ٣١٣/دار الوثائق القومية، سطر ٢٤٥ وجه.

(٢) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٩٠.

(٣) على مبارك: نفسه، ص١٩٠.

(٤) على مبارك: نفسه، ص٢٣٧.

(٥) على مبارك: نفسه، ص٢٣٧.

(٦) مسيحى تسمى لما أسلم بعبد الوهاب، وتلقب علم الدين، وعرف بين الكتاب الأقباط بكاتب سيدى، وترقى فى الخدمة الديوانية حتى ولى ديوان المرتجع، ثو ولى الوزارة بعد شمس الدين إبراهيم فى ٦ شعبان سنة (٧٨٩هـ/١٣٨٧م)، واستمر بها حتى سنة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م). انظر: المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٤٢، أبو السرور البكرى: المصدر السابق،ص١١٦.

(٧) المقريزى: المصدر نفسه، ص٤٢.

وصل ما بين الملحيين – المنجلة- ودرب سعادة، وهذا هوالدرب المعروف الآن بعطفة سعادة.

٢ – شارع الفحامين

يعود تاريخ هذا الشارع إلى ما قبل العصر المملوكى، حيث عرف بسوق الكفتين[١] وبخط الكفتين، نسبة إلى صناع الأوانى النحاسية المكفتة بالذهب والفضة، الذين ظلوا يعملون حتى رأى بعضهم المقريزى[٢].

وقد حل – فى العصر المملوكى- محل صناعة الكفت تجارة العطارة فعرف الشارع بالأبازرة، وذلك بجانب أسواق أخرى عديدة مارس فيهم التجار حرفتهم التجارية فى الأقمشة والمناديل، فعرف الشارع بسوق التجار وبسوق المناديل بجانب العطارة.

وبعد أن شيدت داخل الشارع دار الحسبة[٣] التى عبر عنها المقريزى بكلمة دكة[٤] عرف الشارع بخط دكة الحبسة التى شيدت لجلوس المحتسب الذى كان عليه رقابة الأسواق وما يتعلق بها.

وقد اشتهر هذا الشارع على زمن المقريزى – رغم هذه المسمبات العديدة – بمكسر الحطب، مما يشير إلى اشتماله على سوق لتكسير الحطب وبيعه، ويبدو أنه حقق شهرة كبيرة فى ذلك العصر فغلبت هذه التسمية عليه.

وعلى ذلك نتبين أن هذا الشارع قد عرف بأسماء عديدة فى العصر المملوكى بدأ بخط الأبارزة، ثم سوق التجار، ثم سوق المناديل[٥]، ثم دكة الحسبة، ثم مكسر الحطب مع استمرار بعض الصناعات التى وجدت به قبل ذلك العصر، كصناعة الكفت.

---

(١) ذكر المقريزى أن هذا الشارع كان يربط بين البندقانيين وحارة المحمودية، وطان يضم عدة أسواق ودور، منها الكفتين – الأبازرة- مكسر الحطب وغيرها. أنظر المقريزى: المصدر نفسه، ص٣٦، وأبو السرور البكرى: المصدر نفسه، ص١١٤.

(٢) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٧٤.

(٣) كانت عبارة عن منشأة حكومية ظلت تؤدى دورها حتى بداية القرن التاسع عشر، عندما انتقل مقرها إلى موقع آخر، فهدمها السيد أحمد المحروقى، وأضافها إلى منزله الذى شيده فى مواجهة الجامع المعروف بابن العربى والذى آل إليه من سيده عبد السلام المغربى. انظر: الجبرتى: عجائب الآثار، جـ٢، ص٣٢٦.

(٤) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٦.

(٥) السلطان سليم: وثيقة وقف ٣٣٩/دار الوثائق القومية، مؤرخه بسنة (٩٨٥هـ/١٥٧٧م)، سطر ١٤.

ثم عرف فى العصر العثمانى بسوق الفحامين[1] العطارين[2]، وذلك نتيجة وجود عدد غير قليل من المغاربة القادمين من غدير الفحامين بتونس، والذين تخصصوا فى بيع العطارة داخله، وكذلك الأقمشة.

واستمر هذا الاسم حتى اليوم، ويبدأ هذا الشارع من حارة حلقوم الجمل إلى أول شارع سوق المؤيد، ويبلغ طوله مائتين وأربعة عشر متراً (٢١٤م٢).

ويتفرع منه جهة الشمال الغربى ثلاثة طرق الأول؛ يعرف بسكة الشرايبى، والثانى: يعرف يعطفة الزيت، والثالث: حارة الجوذرية الصغرى – الكبرى.

أ- سكة الشرايبى :

تربط هذه السكة ما بين الفحامين وقلب الجوذرية، وقد عرفت بهذا الاسم فى العصر العثمانى بعدما شيد محمد الدادة الشرايبى حمامه ووكالته داخلها[3]، وقد عرفت هذه السكة فى العصر الأيوبى برحبة ابن علكان التى تنسب إلى الأمير شجاع الدين عثمان بن علكان الكردى، الذى استشهد على أيدى الإفرنج فى غرة شهر ربيع الأول سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) حيث كان يمتلك داراً وأخرى لأبيه داخلها، تغير اسمها فى نفس العصر فنسبت إلى الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الصالحى وصار يطلق عليها رحبة الصيرفى، تغير الاسم بعد ذلك فى العصر المملوكى البحرى فعرفت برحبة أزدمر الكاشف؛ لأنه شيد على أحد جوانبها داره فعرفت برحبة الأزدمرى[4]، ثم عرفت بعد ذلك فى العصر الجركسى أو قبله بقليل بدرب كركامة[5]، وربما أطلق عليها هذا الاسم بعد تقلص مساحتها نتيجة اضطراد العمران فى ذلك العصر، والذى نتج عنه اختطاط الرحاب وتقسيمها، مما أدى إلى تقلص مساحة هذه الرحبة وصارت درباً يؤدى إلى قلب الجوذرية. (انظر خريطة ش٦، ش٧، ش٨، ش٩).

---

(١) حسن عبد الوهاب: الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة: دراسات فى الآثار الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ١٩٧٩، ص١٣١.

(٢) الجمالى محمد عبدالله: وثيقة ٣٥٣/دار الوثائق القومية، مؤرخه ٨رجب (١٠٠٧هـ/١٥٩٨م)، ٢٧٤. وعن نشاطه الحضارى انظر: الفصل الأول من الباب الرابع.

(٣) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص٥١.

(٤) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص٥١.

(٥) المقريزى: نفسه، ص٣٧٣.

ولعل اسم هذا الدرب مأخوذ من اسم أحد الأمراء الذى سكنه فى ذلك العصر، ويرتبط بسكة الشرايبى من الجهة الشمالية الشرقية حارة تعرف بحلقوم الجمل، وعطفة تعرف بعطة الحمام، أما الحارة فلا أعرف العلة وراء تسميتها بهذا الاسم، أما العطفة فسميت بذلك؛ لأنها تشتمل داخلها على المدخل الثانى لحمام الشرايبى، أى أنها عطفة لا تؤدى إلى طريق آخر وإنما يصل المار بها إلى مدخل الحمام، أما حارة حلقوم الجمل فهى تربط ما بين سكة الشرايبى، والشارع المعروف باللبودية.

ب- عطفة الزيت :

تربط هذه العطفة ما بن الشارع الأعظم متقاطعة مع شارع الفحامين، وما بين الجوذرية، وهى عطفة طويلة قليلة الاتساع، سميت بذلك -ربما- نتيجة تخصصها فى بيع الزيت الذى كانت له أهمية كبرى فى الحياة العامة، ومن المحتمل أن يعود تاريخها إلى العصر المملوكى ذلك العصر الذى تعددت فيه الأسواق التجارية داخل هذا الشارع؛ إذ من المحتمل أن تكون هذه العطفة قد خصصت كسوق للزيت فى ذلك العصر، ويبلغ طولها مائة وأربعين مترا (١٤٠م) وعرضها ثلاثة أمتار ونصف (٥ ,٣متر).

جـ- حارة الجوذرية (الكبرى والصغرى) :

تقع هذه الحارة بالجهة الجنوبية من الجوذرية (الممتدة من الشمال إلى الجنوب) وتقع بامتداد شارع الفحامين متعامدة عليه من الشرق إلى الغرب بحيث تبدأ من الجهة الشرقية فى مواجهة جامع الفكهانى، ويصل المار فى هذا الجزء إلى قلب الجوذرية عند مدرسة بيبرس الخياط، وتسمى حارة الجوذرية الصغرى، ينعطف المار من عند مدرسة بيبرس من جهة الجنوب ثم الغرب ماراً بحارة تسمى الجوذرية الكبرى نظراً لكبر طولها عن الحارة السابقة.

ولما كان تخطيط الجوذرية الأصلى يسير من الشمال إلى الجنوب بشكل مواز لقصبة القاهرة ولشارع الفحامين، فإن هذه الحارة ما هى إلا دروب للحارة الأصلية، أطلقت عليها مصلحة التنظيم بعد أن عدلت تقسيم الأحياء[1] - اسم الجوذرية الكبرى والصغرى- وفقاً لطول كلاً منها بالإضافة إلى علمها بشيوع هذا الاسم على هذه الحارة الممتدة من الشرق إلى الغرب

---

(١) حلمى أحمد شلبى: فصول فى تاريخ تحديث المدن (١٨٢٠-١٩١٤م) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م، ص٢٥.

المقسمة إلى حارتين أحدهما كبرى والأخرى صغرى بواسطة طريق عرف بردب الاحتساب فى العصر المملوكى.

أما الحارة الصغرى: فقد تعامد عليها درب عرف بدرب النخلة، وذلك من الجهة الغربية، حيث أشارت إلى ذلك أحد الوثائق العثمانية التى تعود للنصف الأول من القرن الثامن عشر[١]، ولازال هذا الدرب يعرف بهذا الاسم حتى اليوم، ومن المحتمل أيضاً وجوده قبل هذا العصر.

وقد أشار المقريزى إلى وجود زقاق عرف بالغراب بالجوذرية دون تحديد لموقعه، وهذا الزقاق كان يعرف بزقاق أبى العز، ثم عرف بزقاق ابن أبى الحسن العقيل ثم قيل له زقاق الغراب بالنسبة إلى أبى عبدالله محمد بن رضوان الملقب بغراب[٢]، وهذا الزقاق لم يشر المقريزى إلى تاريخه، فضلاً عن أن موقعه غير معلوم، ولما كان يجاور هذا الدرب زقاق يعرف بأبى على، وآخر بالسكر فإنه من المرجح أن يكون أحدهما هو زقاق أبى غراب، والذى عرف باسم من سكنه فى العصر الحديث، أو العصر العثمانى.

يجاور هذا الدرب ويوازيه درب آخر يعد امتداداً لدرب الاحتساب، كان يعرف بدرب الكهارية المنسوب إلى المدرسة الكهارية التى شيدها ابن السلطان بيبرس البندقدارى المعروف بسلامش، والتى جددها أخاه الملك السعيد بركة خان فى عام (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)[٣]، وقد عرفت هذه المدرسة بعد ذلك بجامع عمر الجدرى الذى يضم ضريح السيد عمر ابن الشهيد إدريس إبن جعفر الصادق المنتهى نسبه إلى الإمام الحسن، وقد اشتهرت هذه الزاوية بزاوية عمر الجدرى[٤]، وعلى ذلك عرف الدرب بزقاق عمر الجدرى فى العصر الحالى.

وقد ضم هذا الدرب فى العصر العثمانى عطفة عرفت بالجوخى، وهو المتسبب فى بيع الأقمشة الجوخية، والذى شيد منزله بها على ما يبدو، ومن ثم عرفت به، ولازالت معروفة به إلى اليوم يجاورها عطفة أخرى وزقاق يحمل كلا منها اسم الجوذرية (انظر ش١٨). أما المار بشارع الفحامين من جهة الغورية متجهاً إلى المحمودية فيجد على يساره حارتين هما

---

(١) على أغا: وثيقة وقف ٢٣٥/وزارة الأوقاف مؤرخه ٢٠ محرم (١١٤٢م/١٧٢٩م)، سطر ٣٨.

(٢) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٤٤.

(٣) حسن قاسم: المزارات الإسلامية، القاهرة ١٩٤٥م، جـ٤، ص١١٦.

(٤) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٧٨.

حارة الطواقجية، وحارة العطارين.

أما الأولى فقد احتلت جزءاً من سوق الشرابشيين، وتخصصت فى العصر العثمانى فى بيع الطواقى وغيرها من الأقمشة[١].

والثانية: تجاور قيسارية جهاركس (الدارسة الآن)، وقد تخصصت فى بيع المواد العطرية، شأنها فى ذلك شأن سوق الفحامين الذى تخصص فى بيع العطارة والأقمشة[٢].

أما قلب الجوذرية الذى كان يشغل مساحة كبيرة كانت تقع بين مدرسة بيبرس وشارع الفحامين وضريح عمر الجدرى، والجامع المعروف بابن العربى فقد نقلصت إلى درب قليل الاتساع عرف فى العصر المملوكى بدرب الاحتساب، وذلك بعد تشييد مقر الحسبة بسكة الشرايبى، وظل هذا الدرب معروف بذلك خلال العصر العثمانى حيث أشارت إليه وثيقة وقف الأمير مصطفى القبرصلى[٣]. وهو الآن لا يحمل اسماً.

ومما سبق يتضح أن الجوذرية قد اشتملت على شارعين يوازيان قصبة القاهرة هما شارع الفحامين ودرب الاحتساب الذى تشرف عليه بواجهتها مدرسة بيبرس الخياط (أثر١٩١)، والذى يعود تاريخه إلى العصر المملوكى، أى أن هذا الدرب كان محله جزءاً من شارع الفحامين، مما يشير إلى كبر مساحة هذا الشارع قبل العصر المملوكى الذى شكل قلب هذه الحارة، وقد كان يتوصل إلى هذا القلب بواسطة درب الكركامة (سكة الشرايبى)، والذى أرجح اشتماله على بوابة فى الجهة الشرقية منه عند موضع المدرسة الغورية فى العصر الأيوبى والموروثة عن العصر الفاطمى، كما كان يؤدى إلى هذا القلب حارات أخرى فى العصر المملوكى مثل عطفة الزيت، وحارة الجوذرية الصغرى.

تم تحديد موضع بعض الدرويب والرحاب مثل رحبة ابن علكان التى عرفت بمسميات أخرى فى نفس العصر والعصر المملوكى، فعرفت برحبة الصيرفى، ثم الأزدمرى فى العصر المملوكى، ثم درب كركامة فى نفس العصر.

مما يشير إلى المراحل التى مر بها تخطيط هذه الرحبة حتى وصلت إلى شكلها الحالى (سكة

---

(١) انظر فى ذلك: الفصل الأول من الباب الرابع.

(٢) انظر فى ذلك: الفصل الأول من الباب الرابع.

(٣) مصطفى القبرصلى: وثيقة وقف ٢٥٣٢/وزارة الأوقاف، مؤرخه ١٨جمادى الآخرة (١٠٩٦هـ/١٦٨٤م)، ص١٥، ص٢.

الشرايبى)، وكذلك رحبة كتبغا[1]. تمتعت بعض الشوارع داخل هذه الحارة بمسميات عديدة متلاحقة، مثل شارع الفحامين، وذلك نتيجة للتخصص التجارى الذى كان عليه خلال العصور التالية للعصر الفاطمى وكذلك شارع المنجلة الذى عرف بالملحيين ثم سيدى حبيب ثم المنجلة. تمتاز الحارة بشوارعها ودروبها وأزقتها الضيقة المتفرعة من بعضها على غير نظام معين وفى تعرجات لا ضابط لها، كما امتاز بعضها بانسداد آخره حيث كان يطلق عليه حارة غير نافذة أو درب أو زقاق غير نافذ مثل عطفة الجوذرية وزقاق أبى على وزقاق السكر.

تخطيط المسطاح

يتضمن هذا الخط فى عصرنا الحالى العناصر الآتية:

١) شارع بيبرس، ويتفرع منه جهة الشرق عطفة الصريف وهى عطفة غير نافذة، وجهة الغرب عطفة الشيخ الحطاب، وهى أيضاً غير نافذة.

٢) سكة اللبودية، ويتفرع منها جهة الجنوب عطفة النمرسى، وحارة المالطى.

٣) عطفة الست بيرم وهى غير نافذة. ٤) عطفة الصاوى وهى غير نافذة.

وهذه العناصر يرتبط بها الإشارة إلى تاريخ كل عنصر حتى أصبح بالصورة التى أصبح هو عليها فى عصرنا الحاضر.

١) شارع بيبرس

عرف هذا الشارع قبل العصر المملوكى بدرب الاخنائى[2] نسبة إلى قاضى القضاه برهان الدين المالكى حيث كان يقطن به، ولما أقيم به سوق الرقيق فى العصر المملوكى عرف بشارع سوق الجوارى أو الرقيق[3]. وسكن هذا الشارع فى القصر الجركسى مشترك[4] السلاح الذى

---

(١) هذه الرحبة كانت تقع خلف قصر محمد المحروقى، وكانت دار الملك العادل زين الدين كتبغا تجاهها فعرفت به، وظلت هذه الرحبة خلال العصر الجركسى حيث شيد على جزء منها بيبرس الخياط قصره، ثم دخلت بعد ذلك فى قصر محمد المحروقى. انظر القريزى: الخطط، جـ٢، ص٥٠ وخريطة ش٧.

(٢) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٤٢.

(٣) كانت هذه السوق يقع بالقرب من مدرسة حسام الدين طرنطاى، وتمتد إلى العطفة المعروفة بالشيشينى (درب الطبل-قبازونة) سابقاً. انظر: المقريزى: المصدر نفسه، ص٤٢، ومحكمة الباب العالى: سجل٤ لسنة (١٢٦٤-١٢٦٧هـ/١٨٤٧-١٨٥٠م) وثيقة/٨٥ص٩١.

(٤) كلمة تركية مكونة من "أج ترك" بمعنى ثلاث نخيل وعريتهم العامة إلى مشترك. المقريزى: المصدر نفسه، ص٤٢.

كان على زمن السلطان برقوق[1] فعرف الشارع به (درب مشترك، ثم عرف الشارع بشارع الحطاب نسبة إلى زاوية عثمان الحطاب[2] المشيدة قبل مدرسة بيبرس الخياط(٩٢١هـ / ١٥١٥م)، ثم عرف بشارع بيبرس نتيجة لسكنى بيبرس به، وكذلك تشييده لمجموعة من المنشآت داخله منها: قصر حريمه وقصره وحمامه ومدرسته وقبته الضريحية، وظل هذا الاسم متداولاً حتى عصرنا الحالى.

وقد تفرع من هذا الشارع فى الجهة الغربية عطفة الشيخ الحطاب التى تعود إلى العصر المملوكى، وفى الجهة الشرقية العطفة المعروفة بالصريف التى اختصت بسكن أحد الصيارفة فى العصر العثمانى؛ إذ أن هذا الموضع قد كانت تشغله رحبة كتبغا طوال العصر الجركسى.

ويمثل هذا الشارع الحد الشرقى للمسطاح والغربى للجوذرية، ويربط بين الملحيين وغيرها من أخطاط القاهرة، ويبلغ طوله مائة وستون متر (١٦٠م)[3]. (أنظر خريطة ش١١).

٢) سكة اللبودية (ش١٢)

تبدأ من أول شارع بيبرس وتنتهى بشارع درب سعادة، وطولها مائتان وخمسون متراً[4].

وقد عرفت هذه السكة فى العصر الفاطمى بسويقة الوزير يعقوب، ثم عرفت فى العصر الأيوبى بسويقة الصاحب، وهى تشكل الحد الشمالى لخط المسطاح، وظل هذا الاسم معروف حتى عصرنا الحاضر، ولكن أخطأت مصلحة التنظيم فى إطلاق لقب سلطان على الوزير صفى الدين الصاحب المنسوب إليه هذا الشارع فوضعت عنواناً لهذا الشارع على لوحة زرقاء تحمل "شارع السلطان الصاحب" غير أن الشخص المنسوب إليه الشارع لم يصل إلى هذا المنصب، وإنما شغل منصب الوزارة فى العصر الأيوبى[5].

ومن ثم وجب التنويه إلى هذا الخطأ.

---

(١) السلطان برقوق شيد داخل هذا الشارع الدار التى سكنها مشترك السلاح على رأس زقاق بشير البزاز النافذ إلى أزقة الجودرية. انظر: (ش٧). وثيقة وقف رقم٥١/ دار الوثائق القومية، سطر٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) بيبرس الخياط وثيقة ٣١٣/دار الوثائق القومية سطر٧ وجه.

(٣) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٨٩.

(٤) على مبارك: نفسه، ص١٦٥.

(٥) محمد رمزى: مذكرة ببيان الأغلاط التى وقعت من مصلحة التنظيم فى تسمية الشوارع والطرق بمدينة القاهرة وضواحيها، ص٤٢.

وبالجهة الجنوبية من هذا الشارع حارة المالطى، وهذه الحارة التى عرفت فى العصر المملوكى بدرب ابن عرب نسبة إلى القاضى علاء الدين على بن عرب محتسب القاهرة فى العصر المملوكى البحرى (٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م)[١] الذى سكن به، وقد وصلت إلى هذه نتيجة من خلال وظيفة هذا الرجل الذى عمل محتسباً للقاهرة.

ولما كانت دار الحسبة لا تبعد عن الدرب كثيراً، فإنه يرجح اتخاذه لداره داخل هذه الحارة أو العطفة المعروفة بالنمرسى، واللتان عرفتا فى العصر العثمانى بالمالطى والنمرسى نسبة إلى جنسية من سكن بالأولى، وبلدة أبو النمرس الواقعة بمحافظة الجيزة بالنسبة للثانية، ويتأكد ذلك من خلال الخبر الذى أورده على مبارك عن أن هذا الشارع قد سكنه النمارسة المتخصصون فى بيع الصينى[٢].

وهذا الدرب يعود تاريخه إلى العصر الفاطمى حيث كان يعرف بدرب بنى أسامة الكتاب بديوان الإنشاء فى العصر الفاطمى، ثم عرف بدرب بنى الزبير الأكابر الرؤساء فى نفس العصر[٣] واستمر على ذلك حتى سكنه ابن عرب، ومن جاء بعده فى العصر العثماتى.

٣) عطفة الست بيرم (ش١٣)

هذه العطفة يتوصل إليها من درب سعادة وهى غير نافذة، وقد عرفت فى العصر المملوكى الجركسى بدرب ابن المغشى، فقد شيد به تاج الدين موسى كاتب السعدى وناظر الخاص[٤] أيام الظاهر برقوق داره وذلك فى مواجهة المدرسة الصاحبية، ثم عرف الدرب بعد ذلك بعطفة الست بيرم التى شيدت زاويتها على أنقاض المدرسة الصاحبية، ممايشير إلى تقلص مساحة الدرب إلى عطفة غير نافذة.

وبقت هذه التسمية منذ إنشاء هذه الزاوية – غير المعلوم تاريخها [٥] – وحتى عصرنا الحاضر.

---

(١) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٤٢.

(٢) على مبارك: الخطط، جـ٣/ ص١٦٧.

(٣) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص٤٢.

(٤) ناظر الخاص: كان من اختصاصه التحدث فى أمر الخزانة السلطانية، ولمزيد من التفاصيال عن هذه الوظيفة. انظر حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، جـ٣، ص١٢٠٧، ١٢١٠.

(٥) على مبارك: الخطط، جـ٦، ص٥٧.

٤) **عطفة الصاوى**: (ش١٢، ش١٣، ش١٤)

عرفت هذه العطفة كذلك بعطفة الفرن وهى عطفة طويلة تصل ما بين درب سعادةوشارع بيبرس بطول قدره (٢٠٢م)، وقد كانت تعرف زمن الأيوبيين بدرب الحريرى، نسبة إلى القاضى نجم الدين محمد ابن القاضى فتح الدين عمر، المعروف بابن الحريرى[١]؛ حيث كان يتوصل إليه من أول سويقة الصاحب من جهة الملحيين، وقد اشتمل ها الدرب آنذاك على المدرسة القطبية التى ذكر عنها المقريزى أنها من إنشاء الأمير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدبانى سنة خمسمائة وسبعون (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) برسم الفقهاء الشافعية[٢]. وهذه المدرسة ظلت باقية حتى رآها على مبارك، وذكر عنها أنها كانت ملاصقة لجامع أبى الفضل[٣] (قبة حسام الدين طرنطاى) الواقع بعطفة الصاوى التى ربما عرفت بهذا الاسم فى العصر العثمانى نسبة لأحد شخصياتها البارزين، ثم استمر الاسم متداولاً حتى عصرنا الحاضر.

ومما سبق يتضح أن تخطيط المسطاح قد ظل محافظاً على أصالته مع تغيير فى مسميات الدروب، فتغير درب بنى أسامة إلى درب بنى الزبير، ثم إلى درب ابن عرب، ثم إلى عطفة المالطى أو النمرسى، كما عرفت عطفة الست بيرم بدرب ابن المغشى فى العصر الجركسى، كما عرفت عطفة الصاوى بدرب الحريرى فى العصر الأيوبى، واستمر على ذلك حتى العصر العثمانى فعرف بعطفة الصاوى والفرن، كما عرف شارع بيبرس قبل العصر الجركسى بدرب مشترك ، ثم بشارع الحطاب، ثم بشارع بيبرس منذ العصر الجركسى وحتى عصرنا الحاضر.

تخطيط حارة المحمودية

تعددت الأسماء التى أطلقت على هذه الحارة خلال العصور الوسطى والحديثة، فقد أطلق عليها حارة المحمودية[٤]، وحى المحمودية[٥].

---

(١) المقريزى: المصرد نفسه، ص٤٢.

(٢) المقريزى: المصدر السابق، ص٣٦٥.

(٣) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٩٥، ومن الجدير بالذكر أن هذا المسجد قد هدم وحل محله مسجد جار تشييده الآن.

(٤) المقريزى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٤.

(٥) السلطان العادل الأيوبى: وثيقة وقف رقم ٢/دار الوثائق القومية، مؤرخه ٢٩ رمضان (٦١٣هـ/١٥١٦م)، سطر١٣١.

وكذلك خط باب الفرج[١] وخط بين البابين[٢]، وخط الإشراقية[٣].

وقد نسبت هذه الحارة للطائفة المحمودية إحدى طوائف العسكر الذين قدموا أيام الخليفة العزيز بالله، ومن ثم فقد أطلق عليها اسم حارة المحمودية ، وفى العصر الأيوبى أطلق عليها اسم خط المحمودية، أما إطلاق اسم باب الفرج عليها، فقد ذكر نسبة إلى وجود الباب الذى أطلق عليه "الفرج" فى نهاية حارة الجداوى والتى بها حمام السلطان المؤيد شيخ؛ حيث حقق موضعه على مبارك من خلال وثيقة وقف المؤيد شيخ[٤]. ويبدو أن إطلاق هذا الاسم على هذه الحارة قد عرف فى العصر الفاطمى أو الأيوبى، وكذلك عرف أيضاً بخط بين البابين نتيجة أن باب زويلة المشيد أولاً كان عند زاوية سام بن نوح فى الجهة الغربية من الزاوية، وعقب تولى بدر الجمالى الوزارة أعاد تشييد هذا الباب (٤٨٥هـ/ ١٩٠٢م) وانتقل به مساحة غير قليلة من الباب الأول فى الموضع المعروف الآن بباب زويلة[٥]، وأطلق على هذا الخط بين البابين نسبة إلى باب زويلة الأول، والباب الجديد، المشيد من قبل بدر الجمالى، وعلى ذلك يكون إطلاق كلا الاسمين كان فى العصر الفاطمى، واستمر خلال العصور التالية، غير أن التنخصص الذى قامت به هذه الحارة فى العصر العثمانى كان بيع الأشراق أو الحطب، حيث خصص لهذه التجارة وكالة عرفت بذلك لا تزال بعض جدرانها باقية داخل هذه الحارة حتى عصرنا الحاضر.

ولقد اشتملت حارة المحمودية على بعض العناصر التى ترسم صورة لتخطيطها خلال العصور، ومن ذلك:

شارع سوق المؤيد، ويضم من الجهة الغربية عطفة أمين بك، وعطفة أحمد المحروقى، ومن الجهة الشرقية حارة العلبية، وحارة العقادين – زقاق الحلويين، وهذا الشارع يقع شمال الحارة، أما الجهة الجنوبية من الحارة فقد اشتملت على درب الصغيراء فى العصر الأيوبى، وحارة الجداوى فى العصر العثمانى، وعطفة الكاشف.

---

(١) حنفى الريس: وثيقة ٢٣١/الأوقاف، مؤرخه سنة (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م).

(٢) بيبرس الجاشنكير: وثيقة وقف ٢٣/ دار الوثائق القومية، مؤرخه ٢٦ شوال(٧٠٧هـ/١٣٠٧م)، سطر ٧١.

(٣) على مبارك: المصدر السابق، ص٢٠١.

(٤) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٩٨.

(٥) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٩٨.

ويرتبط بهذه العناصر أصول تاريخية لكل عنصر أذكرها فيما يلى:

شارع سوق المؤيد

يتداخل هذا الشارع مع حارة الجوذرية من الجهة الشمالية، ويمتد من الجهة الجنوبية ليلتقى بحارة المحمودية، وقد أطلق على هذا الشارع أسماء عديدة منها الأنماطيين، وسوق المؤيد والأهوانيين، وكلها مسميات مأخوذة من أنواع الحرف التى تخصص فيها، وقد سمى بالأنماطيين فى العصر المملوكى البحرى عندما شغلت جهته الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية (شارع الجوذرية الصغيرة، وشارع المنجدين، وحارة الجوذرية، ودرب النخلة) داراً تخصصت فى صناعة الأنماط[1]، وهذه الدار شغلت مساحتها بعد ذلك قيسارية بيبرس الجاشنكير، ورغم ذلك فإن الاسم استعمل فى ذلك العصر وفى العصر الجركسى عرف الشارع بسوق المؤيد بعد تشييد السلطان المؤيد لمسجده على يسار المار بالمحمودية، ثم عرف فى العصر العثمانى بالأهوانيين[2] نتيجة تخصصه فى تجارة الأهوان النحاسية، وكذلك الخشبية، ثم أطلق عليه بعد ذلك شارع المنجدين، إذ اشتمل على عدد من الصناع المتخصصين فى التنجيد، حيث كان بعقد به سوق لبيع الأقمشة والقطن، وغير ذلك. واستمر هذا الاسم معروفاً حتى عصرنا الحاضر بجانب اسم شارع سوق المؤيد، وهذا الشارع يبلغ طوله مائتان واثنين وثلاثين متراً (٢٣٢م)[3].

وعلى ما يبدو فقد كان هذا الخط عبارة عن درب يتفرع من المحمودية وينتهى بحارة الجوذرية، غير أن التطور العمرانى الذى انتشر داخل هذه الحارة خلال العصور المتعاقبة، قد انتهى إلى تقسيم هذا الدرب إلى أزقة، وحارات صغيرة خلال العصر العثمانى، والتى منها: حارة العلبية، وحارة العقادين، عطفة أمين بك، عطفة أحمد المحروقى، زقاق الحلويين.

أ- حارة العلبية :

عرفت هذه الحارة بذلك؛ لأنها كانت تضم عدة حوانيت لصناعة العلب الخشب الخاصة بحفظ البن[4]، وهى تفتح على حارة الفحامين التى امتدادها يعرف بالجوذرية، وعلى بابها

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص٣٨، حاشية (٢).

(٢) محكمة القسمة العربية سجل ١١ لسنة (١٠٠٣-١٠٠٥هـ/١٥٩٤-١٥٩٦م) وثيقة/٢٤٣،ص١٤٩.

(٣) على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٧٥.

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٤ ،ص٣٨، حاشية (٢).

سبيل القاضى عبد الباسط الذى لازالت بقاياه موجودة حتى الآن (أنظر ش١٧)، والذى شيده القاضى عبد الباسط على طرف هذه الحارة ويطل على شارع السكرية، وذلك سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، وجدده السيد محمد التونسى سنة خمس وعشرون ومائة وألف (١١٢٥هـ / ١٧١٣م) وكان يعلوه مكتب[١]، وقد أشارت أحد الوثائق إلى التاريخ الذى مارس فيه سكان هذه الحارة حرفة صناعة العلب الخاصة بالبن، فهى تعود إلى سنة (١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م) وفقاً لأقدم وثيقة توصلت إليها وورد بها هذا التخصص الحرفى[٢]، وهذه الحارة صغيرة الحجم لا تقارن بالحجم الذى كانت عليه الحارة فى العصر الفاطمى، ومن ذلك نستنتج أن مسميات التخطيط الذى ضمه الخط الحديث نسبياً يعود إلى عصر محمد على، حيث أخذت الحارة مفهوماً محدداً كما هو الآن فى وقتنا الحاضر.

ب- حارة العقادين : (ش١٧)

تقع على يسار المار بخط الأنماطيين، وتؤدى إلى حارة العلبية، متعامدة على شارع السكرية، وقد تخصصت هذه الحارة فى حرفة العقادة، حيث ضمت أعدادا كبيرة من الصناع لممارسة هذه الحرفة، التى وجد منها العقادين فى الرومى والعقادين فى البلدى، وكانت هذه الحارة بجانب الشارع تضم العديد من حوانيت العقادين[٣]، والتى وجدت خلال العصر العثمانى، أما عطفة أمين بك، وأحمد المحروقى فكلتاها أخذت اسم من سكن بها، بالإضافة إلى أن الثانى كان له منزل بجوار جامع العربى، وقد شغل منصب شهبندر التجار فى الربع الأول من القرن التاسع عشر، أما الأول فيحمل رتبة "بك" التى ينتمى متقلدها إلى طوائف العسكريين المماليك خلال العصر العثمانى.

ويبدو أن هذه المنازل التى ضمتها كل عطفة كانت من الفخامة والثراء الذى يتناسب مع رتبة كل منهما، أما الحلوانيون فقد كان لهم زقاق مطل على شارع السكرية، والذى وجد به من الجهة الشرقية مطبخ معد لصناعة السكر[٤] ومن ثم فإن هذه الحرفة قد اجتمعت أسباب

---

(١) على مبارك: نفسه، جـ٢، ص١٢٥.

(٢) على أغا: وثيقة ٢٣٥/الأوقاف، سطر ٣٥.

(٣) على مبارك: الخطط، جـ٢، ص١٢٥.

(٤) وثيقة الجمالى محمد عبدالله: ٣٥٣، دار الوثائق القومية، مؤرخه ١٨رجب (١٠٠٧هـ/١٥٩١م)، سطر ١٥٠-٢١١.

عديدة لوجودها آنذاك، فقد ضم الخط الزياتين وكذا أرباب حرفة الحلوانية بتخصصاتها المتعددة، وأصبح هذا الزقاق مقراً لسكنهم؛ حيث أن سوق الحلوانية لا يبعد كثيراً عن هذا الزقاق إذ أنه كان بالقرب من الكعكيين (الآن) .

وهذا الشارع بما اشتمل عليه من أقسام تخطيطية قد كان ولا يزال يقع على يمين المار بالحارة، أما الأقسام التخطيطية الواقعة على يسار المار فكانت محصورة فى درب وحارة هما:

- **درب الصغيراء**: (**ش١٥**)

هذا الدرب من الدروب القديمة، حيث كان من عناصر حارة المحمودية، وكان نافذاً إليها، وقد نسب هذا الدرب قد دخل بجميع ما كان فيه من الدور الجليلة فى الجامع المؤيدى[١].

ولقد كان محل هذا الجامع خزانة شمائل تلك الخزانة التى سجن داخلها المؤيد نفسه، والتى وجدت فى العصر الأيوبى، وإن هذا الدرب قد كان مجاوراً لها، ولم يدخل فى نطاقها وظل حتى عصر المؤيد شيخ.

ولقد دخل بجميع ما كان فيه من منشآت هدمها المؤيد – ودخلت فى تشييد هذا الجامع– ومن ثم فإن جامع المؤيد قد شغل خزانة شمائل، وامتد كذلك إلى جهة الغرب ليضم إلى مساحته هذا الدرب بما فيه أى أن خزانة شمائل كانت أقل من مساحة جامع المؤيد شيخ.

- **حارة الجداوى**: (**أنظر ش١٧**)

تقع هذه الحارة على يسار المار بحارة المحمودية متجهاً إلى درب سعادة، وهى بجوار جامع المؤيد؛ حيث شيد داخلها المؤيد شيخ حماماً برسم الرجال والنساء فعرفت بحارة الحمام[٢].

وظلت هذه الحارة خلال العصر العثمانى عندما شيد الأمير حسن بك الجداوى[٣] داخل عطفة الكاشف منزلاً له، فنسبت الحارة إليه، وعلى ذلك فهذه الحارة موجودة داخل المحمودية منذ العصر المملوكى الجركسى، وبالتحديد منذ عهد المؤيد شيخ، واستمرت خلال العصر

---

(١) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٤٤١؛ اقبعا الخاصكى: التحفة الفاخرة فى ذكر رسوم خطوط القاهرة، مخطوط برقم ٤٩٧/جغرافيا، دار الكتب المصرية، ص٩٧.

(٢) حسين وفائى: نزهة الأبصار فى خطط مصر وما فيها من الآثار، مخطوط رقم ١٦٨٧/دار الكتب، ص٧٠.

(٣) كان أصله مملوكاً للشيخ محمد شنن المالكى شيخ الأزهر، وقد دخل فى سلك الجندية، وخدم عند على بك الكبير فأحبه ورقاه وأمره إلى أن قلده كتخذا الجاويشية، ثم قلده الصنجقية، وبقى كذلك إلى أن مات مقتولاً سنة (١١٩٢هـ/١٧٧٨م). أنظر: على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٩٧.

العثمانى وحتى وقتنا الحاضر. ومن خلال دراسة هذه الحارة يمكن الخروج بالعديد من النتائج منها:

١) أطلق على هذه الحارة العديد من المسميات التى يشير بعضها إلى أحد عناصر التخطيط مثل: خط، وحارة وبعضها يشير إلى أحد مواقعها من أحد المعالم الأثرية التى كانت بالقرب منها وداخلها، كما أشار بعضها إلى التخصص التجارى الذى مارسه التجار داخلها.

٢) اشتملت هذه الحارة على خط الأنماطيين الذى اشتمل على عناصر تخطيطية منها: الحارة والعطفة، ولكن اختلفت معنى الحارة داخلها عن المعنى الذى كانت عليه فى العصر الفاطمى.

٣) تبين بالبحث أن درب الصغيراء قد استمر خلال العصر المملوكى الجركسى، ودخل بمنشآته فى بناء الجامع المؤيدى، ولم يدخل فى بناء خزانة شمائل الأيوبية، وعلى ذلك فإن خزانة شمائل كانت أصغر فى المساحة من الجامع المؤيدى الآن.

وقد ارتبط بهذا التخطيط الذى كان عليه كل قسم من أقسام الدراسة، عنصر آخر من العناصر التى وقع عليها تأمين هذه الأحياء، وأعنى بها البوابات التى كانت تغلق على كل عنصر من عناصر هذه الأحياء.

وقد أشارت الوثائق العثمانية إلى وجود مثل هذه البوابات، ومنها بوابة شارع الفحامين التى شيدت عند أول الشارع[١] من جهة جامع الفكهانى، وبوابة الجوذرية التى كانت بالقرب من الأنماطيين[٢] أى بعد هذه البوابة الخاصة بشارع الفحامين بعدة أمتار.

وهذه البوابات كانت تغلق بعد العشاء وينام خلفها بواب يستأجره أهل كل خط أو درب أو عطفة أو حارة؛ حيث كان يتم التنبيه على أهل كل حى بألا يتأخر أحدهم عن العشاء عند الحضور إلى بيته إلا للضرورة القصوى[٣]. وقد استمرت هذه البوابات حتى القرن التاسع عشر الميلادى، عندما استتب الأمن؛ حيث صدرت الأوامر بنزع البوابات التى على

---

(١) مجكمة الباب العالى: سجل/٤ لسنة (١٢٦٤-١٢٦٧هـ/١٨٤٧-١٨٥٠م) وثيقة (٣٦)، ص٣٦.

(٢) بيبرس الجاشنكير: وثيقة وقف ٢٣/دار الوثائق القومية، سطر ٧١ .

Al messiri (N), Op.Cit. P.314.

(٣) شحاتة عيسى: القاهرة، تاريخها نشأتها، امتدادها منذ التاريخ البعيد حتى الوقت الحاضر، ص١٨٧.

الدروب[1] وبذلك تغيرت طبيعة الحارة كوحدة، وأصبحت كثيرة العدد ، فلقد وصل عددها مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادى إلى ثلاث وخمسين حارة وذلك أثناء الاحتلال الفرنسى، بعد أن كان عددها خلال القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى عشرة أو خمسة عشر حارة، تزايدت أعدادها فى القرن الخامس عشر الميلادى إلى ست وثلاثون حارة، تزايدت مرة أخرى فى القرن الثامن عشر إلى العدد المذكور سلفاً، مما يشير إلى التفتت الذى حدث للحارة فى ظل هذا الاحتلال والتى كانت مترابطة ترابطاً أخافهم، مما دعاهم إلى تفتيت هذه الوحدة بهدم البوابات، وغير ذلك[2].

** ** ** **

(١) حسن عبد الوهاب: تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها، دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٨٥م، ص٣٥-٣٧.

(2) El messiri, (N), OP.Cit. p.313.